الحروف والأصوات العربية

في مباحث القدماء والمحدثين

الدكتور هادي نهر

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

— آ —

يُعد الحرف من العناصر الاساسية في تأليف البنية اللغوية مفردة كانت أم جملة، وهو العنصر الاصغر في هذا البناء فكلّ تركيب يتكون من عدة بنيات مفردة متباينة الحروف والاصوات، مرتبطة مع بعضها في سياق خاص لاداء معنى عام، ومحور هذا الربط لأوصال التركيب هو الحرف، وقد يكون كلمة مستقلة لها معنىً وظيفي تعرف به، وتساق له، وتُنسب اليه، كالابتداء والانتهاء، والاستفهام، والتمني، والتبعيض، والملك، والنفي، والايجاب وغير ذلك مما يُؤدّي ضمن وظيفة الربط بين المفردات، وهذا ما اصطلح عليه (بحروف المعاني). وقد يكون حروفاً غير مستقلة عن اصول الكلمات ولكنّها تمتزج معها بحيث تساهم في بناء معنى المفرد، او بناء معنى المركب. وهذه الحروف رموز لاصوات معينة متباينة فيما بينها اصطلح عليها عند اللغويين (بحروف المباني). وقد حضيت الحروف العربية واصولها منذ القديم بعناية خاصة من لدن اللغويين العرب، ابتداء من الخليل (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت ١٨٥هـ) وحتى يومنا هذا، وقد استطاع هؤلاء اللغويون أن يقدّموا

في هذا المجال دراسات فاحصة في الحروف واصواتها وبيان مخارجها وصفاتها «مما اعترف باصالته علم اللغة الحديث قياساً الى زمانه»(١). واذاء كان العرب متأخرين — زمانياً — عن كثير من الامم التي سبقتهم في مجال الدرس اللغوي العام . فانّا نجدهم في مجال الدرس الصوتي متفوقين كثيراً على باقي الامم . ولقد شهد بذلك علماء الغرب فقال (فيرث) الانكليزي لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في احضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكريتية»(٢)، وقال (برجشتراسر) الالماني : «ولم يسبق الاوربيين في هذا العلم — يعني علم الصوت — الا قومان : العرب والهنود»(٣)، ورأى (جورج مونين) ان علم الاصوات عند العرب «ظاهرة هامة بحدّ ذاتها...، ولابد من الاعتراف بوجوده عندهم وانه علم ممتاز»(٤).

— ب —

وهذا البحث في الحروف والاصوات محاولة متواضعة اردت بها مخلصاً أنّ افرز مفهوم كلّ من الحرف والصوت، وغيرهما من المصطلحات الفرعية التي ترد في الحديث عنهما عادةً كاللفظ، والقول، والحركة، والاداة عند اللغويين العرب قدماء ومحدثين . مع الوقوف عند معطيات هؤلاء في هذا المجال . وغايتي من هذا كله اختصار وتركيب تلك الاراء، وبيان تأويلات وتعليلات وخلافات اصحابها . ومحاولة الموازنة بينها وصولاً الى حدود واضحة تُعين على فهم تلك المصطلحات اللغوية والصوتية، وتحدد مدى مساهمة اللغويين العرب القدماء في مجال الدرس الصوتي ، ومدى نجاح المحدثين في معاودة ذلك التراث وتمثله وتوظيفه لخدمة اللغة العربية، ومدى نجاحنا في تقويم معطيات اسلافنا على وجه التحديد الواضح والحكم العادل.

— ج —

ولقد سلكت وصولاً الى غايتي هذه منهجاً قائماً على النظر في مجموعة من كتب اللغويين قدماء ومحدثين وفقاً لدرجة تواتر العينات الكافية للموضوع الذي نحن بصدده فيها، ومستوى تلك العينات من حيث شيوعها واهميتها

ودلالتها على صورة الموضوع الذي نريد ، مع ملاحظة تمثيلهـــا متنوعة الأتجاهات الافكار ، ابتداء من الخليل الذي يمثل اقدم صورة وصلتنا عن الدراسة الصوتية في طور الصدود الفطري، وبداهة العقل والتأمل والجهد الذاتي دون الاستعانة بالمخبر او الآلة ، وانتهاءً بالدرس الحديث الذي اسعفته التجربة المخبرية والآلية، وامدته بكثير من المعطيات التي يسرت سبيل عمله، وعززت نتائج بحوثه ، واسلمته الى طمأنينة في تقرير الحقائق واستنباط القواعد .

حروف المعاني : — قسّم اللغويون العرب الكلم العربي الى ثلاثة اقسام: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل(٥)، فالاسم لفظ يدل على معنىً في نفسه ،ولا يتعرض ببنيته لزمان ذلك المعنى(٦)، ولا يدل جزء من اجزائه على جزء من اجزاء معناه، بمعنى ان (الشين) مثلاً ، وهو جزء من كلمة (الشمس) لا يدل على بعض معنى هذه الكلمة .

واما الفعل فلفظ يدل على معنى في نفسه، ويتعرض ببنيته لزمان ذلك المعنى. واما الحرف فيكاد اللغويون لا يتفقون على معنى محدد له ، فسيبويه يرى انه جاء لمعنى يختلف عن المعنى الذي جاء له كل من الاسم والفعل ، يقول : «واما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو :ثم ،وسوف، وواو القسم ، ولام الاضافة، ونحو هذا» (٧) .

وواضح من عبارة سيبويه انّه لا يشير الى طبيعة هذا المعنى المدلول عليه بالحرف . وفي حديثه عن حروف الجر يحدد وظيفة الحرف ودوره في بناء الجملة باعتباره اداة اضافة وربط بين معنى الفعل الذي تعلّق به ومعنى الاسم المجرور مثلاً . يقول في حديثه عن او يسميها احياناً بحروف الاضافة حروف الجر انها «يضاف بها الى الاسم ما قبله وما بعده، فاذا قلت : يالبكر، فانما اردت أن تجعل ما يعمل المنادى مضافاً الى بكر باللام. واذا قلت : مررت بزيد، فانما اضفت المرور الى زيد بالباء...الخ» (٨) .

ومن الطبيعي ان وظيفة اللفظ المعين تختلف عن معناه.

وقد بقيت فكرة سيبويه حول الحرف هي المعروفة عند النحاة من بعده ألى أن شاع بين النحويين ما رفعه ابو الاسود الدؤلي (ت . ٦٩هـ) الى الامام علي (رض) من تحديد لكل من الاسم والفعل والحرف، جاء في بعض النصوص ان الحرف «ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل» وفي بعضها «والحرف ما اوجد معنى في غيره»(٩) وقد صار التعريف الشائع بين النحاة مأخوذاً من ذلك اي : (الحرف ما دل على معنى في غيره).

واراد الزجاجي (ت.٣٣٧هـ) أن يتبين طبيعة المعنى الذي يدل عليه الحرف في غيره فذكر قوله انّ (من) تدخل في الكلام للتبعيض فهي تدلّ على تبعيض غيرها لا على تبعيض نفسها، وكذلك اذا كانت لابتداء الغاية كانت غاية غيرها ...وكذلك (الى) تدلّ على منتهى غيرها لا على منتهى نفسها، وكذلك سائر حروف المعاني » (١٠) .

وقد وفق الرضي الاسترابادي (ت.٦٨٦هـ) في بيان معنى الحرف بقوله : «الحرف كلمة دلّت على معنى ثابت في لفظ غيرها، فغير صفة اللفظ ، وقد يكون اللفظ الذي فيه معنى الحرف مفرداً كالمعرّف باللام، والمنكر بتنوين التنكير، وقد يكون جملة كما في (هل زيد قائم) ، لانّ الاستفهام معنى في الجملة، اذ قيام زيد مستفهم عنه ، وكذا النفي في (ما قام زيد) اذ قيام زيد منفي، فالحرف موجد لمعناه في لفظ غيره، امّا مقدّم عليه كما في نحو : (بصريّ) او مؤخّر عنه كما في (الرجل) ،والاكثر أن يكون معنى الحرف مضمون ذلك اللفظ. فيكون (اي ذلك اللفظ) متضمناً للمعنى الذي احدث فيه الحرف مع دلالته على معناه الاصلي ... فرجل في قولك : (الرجل) متضمن لمعنى (التعريف) الذي احدث فيه (اللام) المقترن به ،وكذا ضرب زيد في (هل ضرب زيد) متضمن لمعنى الاستفهام، اذ ضرب زيد مستفهم عنه. ولا بدّ في المستفهم عنه من معنى الاستفهام وموجده (هل) .. الخ»(١١).

فليس للحرف معنى موجود في (ال) او (هل) او (من)، وانما معناه كائن في مضمون لفظ آخر تعلّق به الحرف، بمعنى أن لفظ الحرف كبنية لغوية لا معنى لها ،فهي بنية فارغة من الدلالة، ولذلك قال الرضي في نهاية رأيه «فالحرف وحده لا معنى له اصلاً، اذ هو كالعلم المنصوب بجنب شيء ليدل على أنّ في ذلك الشيء فائدة ما، فاذا افرد عن ذلك الشيء بقي غير دال على معنى اصلاً، فظهر بهذا أنّ المعنى الافرادي للاسم والفعل في انفسهما وللحرف في غيره»(١٢).

وفي ضوء هذا الفهم نجد انّ «الاستقلال بالمفهومية» على حدّ تعبير ابن الحاجب(١٣) (ت. ٦٤٦هـ) وعدم ادراك المعنى الا ضمن سياق ما، هو اساس التفريق بين الاسم والفعل من جهة، والحرف من جهة ثانية، فالحرف لايستقل بالمفهومية، وليس له واقع معنوي سابق على عملية التركيب بخلاف غيره من الاسم او الفعل ،فلا يخبر بالحرف ولا يخُبر عنه ، ولا يوجد لفظ (من) مثلاً ولا غيرها من نوع الحرف مستعملة في معناها وهو الابتداء ، ولو كان ذلك حاصل لترادفت (من) مع (ابتداء)، وهو مالا نجده في واقع الاستعمال اللغوي، ودلالة (قد) على التحقيق، و (ثم) على التراخي و (من) على الابتداء. و (سوف) على التسويف انما هو في معاني ما ترتبط به هذه الاحرف من الفاظ الجملة لا في نفس الحرف، «ولذلك كان التعريف الشائع للحرف بـ (ما دل على معنى في غيره) وافياً بما يفهمه اتباع سيبويه من معنى الحرف»(١٤).

ولقد اراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس (ت. ٦٩٨هـ) —وتبعه ابو حيان الاندلسي (ت.٧٤٥ هـ) ان يخرق اجماع النحاة في عدم دلالة الحرف على معنى في نفسه . وذهب في (تعليقة على المقرّب إلى انّ للحرف معنى في نفسه . وحجته في ذلك انه اذا خوطب به مَن لا يفهم موضوعه لغةً كان كذلك . وان خوطب به من يفهمه . فانّه يفهم منه معنى عملاً يفهمه موضوعة لغة ، كما اذا خوطب بـ(هل) من يفهم أنّ موضوعها الاستفهام

وكذا سائر الحروف . وعن الفرق بين الحرف وكلّ من الاسم والفعل قال: «والفرق بينه وبين الاسم والفعل أنّ المعنى المفهوم منه مع غيره اتمّ من المفهوم منه حـــال الافراد بخلافهما ، فالمفهوم منهما في التركيب عين المفهوم منهما في الافراد» (١٥) .

وراي ابن النحاس كما يلاحظ قاصر عن اقناعنا بوجود معنى للحرف في نفسه فما زال الاستقلال بهذا المعنى غير واضح ذلك أنّ المعنى نوعان : معنى افرادي مستقل ، ومعنى تركيبي غير مستقل ، فالمعنى الافرادي هو صورة الشيء المرتسمة في ذهن الانسان سواء علم انّ هنالك لفظاً موضوعاً بازائه ام لم يعلم كصورة (الجدار) او (الفرس) او (الابتداء) او (الاستفهام) ، وفائدة علمه بالوضع انه اذا سمع من يقول (فرس) مثلاً حضرت في ذهنه تلك الصورة المستقلة ، واذا سمع من يقول : (استفهام) او (استفهم) حضرت في ذهنه تلك الصورة المعلومة دون ضميمة شيء اليها . اما المعنى التركيبي فهو الذي لايحضر في الذهن عند سماع اللفظ منفرداً . بل عند سماعه ضمن الجملة ، (فالفاعلية) مثلاً معنى تركيبي يمكن أن نفهمه من جملة (قام محمد) أي أن محمداً فاعل القيام ولكننا لو افردنا كلمة (محمد) فاننا لانفهم منها معنى (الفاعلية) — وان دلت عليه ضمن الجملة — وهكذا الاستفهام في جملة (هل قام محمد) فاننا نفهم أن قيام محمد مستفهم عنه ، ولكننا لو جردنا (هل) وحدها فلا نفهم منها هذا المعنى ، بل لانفهم منها معنى الاستفهام ، لانه لاترتسم صورته بأذهاننا عند سماع كلمة (هل) كما ترتسم بأذهاننا عند سماع كلمة (الاستفهام) او (استفهم) ، وذلك لان هل وضعت للاستفهامات الخاصة كالاستفهام عن قيام محمد وجلوس عمرو ... اي انها وضعت للاستفهام في حالة كونه (معنى تركيبياً) وليس للاستفهام المطلق المستقل بنفسه ، والا لكانت (هل) مرادفة لكلمة الاستفهام (١٦) .

ولقد أدّى سوء فهم بعض المحدثين لمفهوم الحرف عند القدماء باعتباره احد اجزاء الكلام الى تقديم انموذج جديد لتقسيم الكلم العربي ، فدعا الدكتور

تمام حسان الى تقسيمه الى سبعة هي : الاسم ، والوصف ، والفعل ، والضمير ، والخالفة ، والظرف ، والاداة .

— والى ذلك ذهب فؤاد حنا ترزي ايضا (١٧) ودعا المرحوم ساطع الحصري الى ترك التقسيم القديم للكلم العربي لانّ سائر لغات العـــالم يقسم الكلم الى انواع كثيرة يبلغ عددها ثلاثة امثال ذلك وليس من المعقول على رأيه ان نبقى متمسكين بهذا التقسيم بل من الاوفق عنده ان نعيد النظر فيه على اساس تكثير انواع الكلمات اسوة بمـــا يفعله لغويو العالم (١٨) ... ولم يضع الحصري خطة تفصيلية لتقسيمه المزعوم .

وبغض النظر عن هذه الدعوات وغيرها ، فانّ اللغويين العرب القدماء قد استطاعوا القيام بدراسة تحليلية وصفية فذّة للغتنا ، وتلك من اعقد واشق المهام التي يسعى الى تحقيقها في العصر الحديث اكاديميات العلوم اللغوية ومعاهدنا المتخصصة في مختلف بلدان العالم . ونتيجة للدراسة التحليلية الوصفية للغة العربية وحد الاوائل الكلمات في مجموعات كبيرة وصنفوها التصنيف الثلاثي المعروف غير منطلقين من معناها — كمـا يظنّ بعض الدارسين — بل وبالاستناد الى خصائص مميزة لكل نوع ، فالحرف عند سيبويه كما ذكرنا انما جاء «لمعنى ليس باسم ولا فعل» وهو عند الزمخشري (ت. ٥٣٨هـ) «مادل على معنى في غيره . ومن ثم لم ينفك من اسم وفعل يصحبه إلاّ في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل ، واقتصر على الحرف فجرى مجرى النائب » (١٩)

وقد اتضح لدينا مما ذكره الاقدمون عن طبيعة كل جزء من اجزاء الكلام العربي انه يمكن تقسيمها الى كلمات مستقلة المعنى وهي الاسماء والافعال ، وكلمات غير مستقلة بالمعنى وهي الحروف ، وانهم كانوا يشعرون بالحيرة احياناً ازاء بعض الالفاظ التي تشترك في اكثر من قسم واحد ، كما هو الحال في (اسماء الافعال) و(ربّ) و(ليس) وغير ذلك مما ساق الخلاف بشأنه صاحب الانصاف ، كما انه قد تبين للغويين القدماء أنّ الفعل نفسه لايستقل

بالدلالة دون فاعله اذا كان هذا الفاعل ذاتاً نحو : أقبل خالد ولكنه لايستقل عن الفاعل : « كما توهم من قال انّ الفعل لايستقلّ بالدلالة دون الذات ، والذات متصلة بالفعل في تركيبه الاصلي » (٢٠)

وقداكد صحةالتقسيمالعربي بعضالمستشرقين فقد ذكر الاستاذ(غ .فيلنيكوف)(٢١) «ان المفردات السامية تقسم الى :

آ— كلمات لم تفقد صلتها بعد وبـ(آلية) الحدث ، ولذلك تحتاج الى مطابقة الفاعل وهي الكلمات المتصرفة أي الافعال .

الكلمات المتصرفة أي الافعال

ب— كلمات تفهم عن طريق الحديث ، ولكنها فقدت علاقتها بـ(آلية) الحدث وهي الاسماء .

جـ— وبقية الكلمات المساعدة التي لاترجع الى جذر الفعل . وهي الاحرف » واشار (ميلنيكوف) الى أن هذا التقسيم يعتبر اساساً في وصف القواعد السامية . ولقد اثبتت الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة ايضاً صحة تقسيم الكلمات الى اسم ، وفعل ،وحرف ، بل انها توصي باتباع ذلك التقسيم بالنسبة للغات التي لاتتبعه قواعدها ، فقد توصل مثلاً الدكتور (س .غالسان) نتيجة دراسة مقارنة قام بها للغتين المنغولية والروسية الى ضرورة تمييز ثلاثة اقسام للكلمات في هاتين اللغتين هي : الاسم، والفعل، والحرف .علماً بانّ ذلك التقسيم غير متبع في دراسة قواعد اللغتين المنغولية والروسية . (٢٢)

وخلاصة الامر انّ الحروف ما هي الإعلامات ورموز سواء كانت حروف معانٍ ام حروف مبانٍ ، فان كانت حروف معان فهي علامات لتخصيص المعاني الاسمية أو الفعلية وتضييق دوائرها ، او تغيير طبيعة دلالاتها . تنكيراً او تعريفاً سلباً او ايجاباً ، اخباراً او استفهاما ، ابتداء أو انتهاء . او تغيير طبيعة زمانها ماضيا او حاضرا او مستقبلاً ، وغير ذلك من التنويع والتصنيف الذي يطرأ على الالفاظ وهي متّسقة ضمن سياقات معينه .

ومن الثابت ان لحروف المعاني قيمة تعبيرية في الجملة العربية ، فبالاضافة الى انها تفسّر بعض طرائق النمو اللغوي ، والتكاثر اللفظي فيها فلها وظائف دلالية واضحة . فحروف العطف مثلاً تقيد ادخال مابعدها في حكم ما قبلها فوظيفتها اذن الدلالية هي جمع المتعاطفين في حكم واحد، وتخصيص كليهما او أحدهما بحكم معين على سبيل التعيين أو على سبيل الابهام . هذا من جهة ومن جهة ثانية فان حروف المعاني نوعان : احدهما لايعمل وهو المهمل كبعض احرف الاستفهام والجواب والتعريف والتنكير والتفسير والاستفتاح ... الخ ، والآخر يمنح الاسم او الفعل حركة معينة ويمكن أن نسمّيه اصطلاحاً (اداة) ، ويمكن أيضاً أن نقرر أن الفرق بين حروف المعاني والاداة يتحدد في كون الاداة مختصة . أي تؤثر فيما تختص به وذلك باحداث حركة في المختص به ، على الرغم من ان القدامى لم يفرقوا بين ماعمل وما لم يعمل ، وأطلقوا أدوات الاستفهام وفيها حروف غير عاملة مثل الهمزة وهل ، ومنهم من اضاف ام المنقطعة . والاداة عندهم تكون حرفاً وقد تكون اسماً .

وقد توزعت الادوات عند بعض المحدثين على ابواب ثلاثة هي (٢٣) :

— أدوات تغير الجدول التصريفي كأدوات النصب والجزم .

— وأدوات تغير الجدول النحوي واعتبر منها بعض النواسخ وما يصنف معها

— وأدوات العطف التي تحتم على المعطوف ان يتبع المعطوف عليه في الحركة ، او التشريك اللفظي . ويجوز بها عطف الاسم على الاسم والفعل على مثله ، إلى ماهنالك من ضروب العطف .

وأرى أن توزيع المحدثين للادوات هذا التوزيع يبتعد إلى حدّ ما عن الحقيقة العلمية فاذا سلمنا بأنّ أدوات الجزم تؤثر على الأفعال من الناحية الصرفية وخاصة الافعال المعتلة مثل حذف حرف العلة في نحو : لم يقل ، ولم يرم . فإن أدوات النصب في أصل وضعها لاتؤثر في الأفعال من الناحية الصرفية . كما اننا لانستطيع أن نعدّ النواسخ من بين الأدوات التي تغير

الجدول النحوي كما أن هناك أدوات تغير من الجدول النحوي للأسماء لم يلتفت اليها المحدثون كحروف الجر وأداة الاستثناء ، وحرف النداء .

حروف المباني : أطلق اللغويون العرب مصطلح (الحرف) أيضاً على كل واحد من حروف المعجم أو الهجاء التسعة والعشرين (٢٤) وفرقوا بين مدلول الحرف وجعلوه على قسمين هما : حروف المعاني ، وحروف المعجم أو الهجاء وتسمى أيضاً ، (حروف المباني) ، واستطاعوا أن يقوموا بدراسات مستفيضة لهذه الحروف وباعتبارات عديدة على الرغم من أن دراساتهم تلك كانت تأتي ضمن مباحثهم النحوية والصرفية والمعجمية ، ونكاد لانقف على أثر مستقل يهتم بحروف المباني حتى القرن الرابع اذ الفينا ابن جني (ت. ٣٩٢هـ) في كتابه (سر صناعة الاعراب يُعنى بها عناية خاصة باعتبارها علماً قائماً بذاته ، يهتم فيما يهتم بدراسة تحليلية لمادة اللغة الأساسية وعناصرها التكوينية ، ويعرض لاحوال كل حرف على حدة ، متحدثاً عما نسميه اليوم (بالسمات المميزة للوحدات الصوتية) واقفاً عند تحديد امرين هامين هما : مخارج الحروف ، وما يتصف النطق به من صفات مما يجعل مباحث ابن جني في هذا المجال ذات صلة واضحة بعلم الصوتيات الحديث مع بعض الفروق البسيطة ، اذ يدرس هذا العلم السمات المميزة للوحدات الصوتية عن طريق امرين : هما تحديد مخارج الحروف ، وبعض صفات النطق ، وقد تحدّث عنهما ابن جني منذ مايزيد على العشرة قرون .

ومما يلاحظ في دراسة الاوائل للحروف هو تعدد المصطلحات والتسميات التي اطلقت عليها كمصطلحات (الحروف العربية) و (الرسم العربي) و (الخط العربي) و (الاصوات اللغوية) مما يدفع بالبعض إلى الظن ان اولئك القدماء لم يميزوا بين الحرف والصوت .....

وذلك ظن لايجد نصيبه من الحقيقة ، فقد أحسن اللغويون الأوائل صنيعاً حين قسّموا الحروف إلى نوعين : حروف معانٍ ، وحروف مبانٍ ، وقد مضى القول في انهم قصدوا بحروف المعاني تلك الألفاظ التي انحرفت عن

خصائص الاسم والفعل ، وعوارضهما كالاستقلال بالمفهومية ، والاعراب ، وقبول علامات معينة ، ودخول حروف الزيادة عليها ، والتصرّف ، الى ماهنالك من خصائص وعوارض الأسماء والافعال ، ولهذا فقد جعلوا «عدم وجود علامة معينة للحرف علامة له.» (٢٥)

أما حروف المباني او (الحروف العربية) فكلّ واحد منها وحدة كتابية ، ورمز صوتي ، مع التأكيد على الفارق بين الكتابة والصوت ، أو بين اللغة في صورة منطوقة مسموعة ، وبين اللغة وقد كتبت بحروف . فالصوت (٢٦) عندهم (لفظ) . حكي به صوت ، او صوّت به لزجر او دعاء . او توجع ، او تحسّر ، وهو يقابل عندهم مصطلح (اللفظ) ، باعتباره صوتاً ايضاً مشتملاً على بعض الحروف الهجائية ، ويقع على كل ملفوظ ، حرفاً أو أكثر ، ويشمل (القول) و (الكلمة) و (الكلام) ويطلق على المهمل والمستعمل ، مقدّراً كان كالضمائر المستترة جوازاً أو وجوباً ام ظاهراً .

ومن هنا فقد اشترطوا في (القول) أن يكون (لفظاً) أو (صوتاً) دالاً على معنى (بالوضع) والوضع عندهم تخصيص شيء بشيء . أي جعل اللفظ دالاً على المعنى الذي يقصده المتكلم ولهذا لايسمّى كلام النائم ، وما يُعلّم من الطيور قولاً لانه غير مقصود . ولهذا ايضاً رأى أحد اللغويين القدماء «أن تصدير حدّ الكلمة بالقول أولى من تصديره باللفظ ، لأنّ اللفظ يقع على المهمل والمستعمل ، بخلاف القول فإنه لايتناول إلا المهمل.» (٢٧)

ولما كانت الحروف الفاظاً ، والألفاظ أصوات ، فقد اطلق سيبويه مصطلح الحرف واراد به مايشمل الصوت والحرف (٢٨). وقد بقي هذا المفهوم سائداً عند أغلب اللغويين من بعده ، بل اننا نجد من يطلق الحرف على الصوت المنطوق وعلى الخط المكتوب الذي يقابله والتعويل على الخط كما نعلم وفي اية لغة تمثيل ناقص ، يؤدي إلى الخلط بين مفهومي الحرف والصوت وعدم التمييز بينهما ، ولهذا نجد بعض اللغويين من يعدّ الصوت حرفاً والحرف صوتاً . ويتحدّث عن (مخارج الحروف) قاصداً مخارج الاصوات

ولعل اهتمام هؤلاء بالصورة المكتوبة دون المنطوقة هو الذي أدّى إلى هذا الخلط ، فكثيراً مانجدهم يقررون في نحو (لم ينج) و (لم يسعَ) و (لم يمضِ) أن الفعل مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، ولو تأملوا نطق الفعل لرأوا انه مجزوم بتقصير (المصوتات الطويلة)(٢٩)او (الحركات الطويلة)(٣٠)، أو ماسماها سيبويه ومن بعده ابن جني (الحروف الثلاثة اللينة) (٣١) ، وهي الألف . والياء ، والواو وعوض عنها (بحركات أو مصوتات) (٣٢) قصيرة هي على التوالي : (الفتحة ، والكسرة ، والضمة) باعتبار أن حروف اللين مضارعة للحركات فكرهوا توالي المتشابهات . وفي ذلك يقول ابن جني: «وانما قلت الحركات في حروف اللين لمضارعة هذه الحروف للحركات ، فكرهوا اجتماع المتشابهات» (٣٣) «فالحركات ابعاض حروف المدّ كما ذكر » (٣٤) . فالضمة بعض الواو . والكسرة بعض الياء والفتحة بعض الالف. «وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كنّ مدّات» (٣٥) .

وقد ذهب بعض المحدثين مذهباً بعيداً اذ رأى ان ماذكره الأقدمون عن المضارع المعتل العين في حالة الجزم من نحو : (لم يكن) من هذا الباب . فقد زعم الاقدمون أن هناك ساكنين هما : عين الفعل وآخره . وقد أدّى هذا الالتقاء إلى حذف الاول منهما ، والحقيقة عنده ان الواو ليست ساكنه باعتبارها حركة طويلة ، وما حذفها إلا لتعارض مقطعين تشكلا بعد جزم الفعل هما : (يَ/كون) فالثاني أكثر طولاً من الاول . وهو مالا تقبله العربية ، مما يؤدي إلى تقصير حركة المقطع الطويل فتصير (يَ/كُنْ) وهذا مايُفسّر به تقصير حركة الفعل الماضي عند اتصاله بتاء التأنيث في مثل : (رمتْ) فأصلها: (رمات) .

وأمثلة ذلك كثيرة على وفق مايرى بعض المحدثين. (٣٦)

ورأى أنّ المقطعين : القصير والطويل في (يَ/كون) موجودان هنا قبل دخول الجازم . ولم يُحذف أحدهما في حالة الرفع .

وعلى هذا يمكن اعتبار رأي الأقدمين في هذه الناحية هو الاصوب ، لأن العرب لاتجمع ساكنين على الرغم من أنّه يمكن اعتبار الواو حركة طويلة وليست صوتاً ساكناً وحينئذ اذن يصح ماذكرناه سابقاً.

أما ماذكره بعض المحدثين مفسراً به تقصير حركة الفعل الماضي عند اتصاله بتاء التأنيث في مثل : رمتْ فاصلها رمات ، فباطل . لانه اذا كان الامر كما ذُكر ، وان الحذف من (رمات) قد تمّ لسبب الذي جاء به ، فلماذا لم تحذف الألف من نحو : قضاة و (دعاة) و (رماة) و (غزاة) ، فقد وقعت حركة طويلة وقبلها حركة قصيرة ؟

وربما يرى المحدثون أن الضمة غير الألف وصوتها مختلفة ، نقول : فما بال مثل (بنات ، وفتاة ، وقناة ، وشتات) اذ لم تحذف منها الألف وكلها مسبوقة بحركة قصيرة .

ومن هنا فان احكام النحاة القدامى في هذه الزاوية هي المعوّل عليها لأنها قامت على استقراء يبلغ حدّ الدقة لكلام العرب .

ولكي لايظن اننا من اولئك الناس الذين يتهمون لغويي العرب المتقدمين بعدم التمييز بين الحرف والصوت ، وان دراساتهم في هذا الميدان انما اعتمدت الحرف الذي هو رمز للصوت ، ولذلك لا يمكن التعويل عليها (٣٧) لانها حديث عن الكتابة التي هي في اية حال ترميز ناقص لما يكتب ويفهم كما اشرنا لابدّ من تأكيد حقيقتين هامتين :

اولاهما : أنّ الخلط الحاصل بين مفهومي (الحرف) و (الصوت) ظاهرة معروفة عند غير العرب ، فعلى الرغم من أنّ الاغريق والرومان كانوا يشعرون بالفرق بينهما ، ومن بعدهم كان اتباع الفلسفة السكولاتية يؤكدون الخصائص الثلاث للحرف : اسمه ، وشكله ، وطاقته ، بيد أنّ تطور هذه المفاهيم في تلك العصور اخذ يشير الى اختلاط متزايد بين الحرف والصوت ، فاضمحل مصطلح الصوت ، وغشاه مصطلح الحرف ، ولم

نجد للاوربيين تمييزاً واضحاً بينها الا في القرن الخامس عشر الميلادي (٣٨) وثانيهما: انه بالاضافة إلى اهتمام العرب بالصوتيات منذ الخليل وسيبويه في القرن الثامن الميلادي اهتماماً واسعاً يتمثل في كتاب (العين) الذي بناه الخليل على اساس النطق بالحروف . وفي كتاب سيبويه بما فيه من تحليل دقيق للاصوات ، وكيفية نطقها ، وابدالها ، وحذفها ، وغير ذلك مما يهتم به اليوم علم الصوتيات العام . واضافـــة إلى ما خلّفه الزجاجي ، والزمخشري، وابن يعيش ، وابن الحاجب وغيرهم ممن اهتموا بالدرس الصوتي ، فانّا نجد ابن جني في القرن العاشر الميلادي يتحدث عن السمات المميزة للوحدات الصوتية عن طريق تحديد مخارجهـــا وصفات نطقها ومميزاتها الصوتية، وكان وصفه لنطق الحركات دقيقاً إلى الحدّ الذي يقربه من احدث نظرية في الصوتيات المعاصرة وهي نظرية (الصفات المميزة للصوت) وهي عند ابن جني ثلاث : التمييز بين معاني الكلمات . وكيفية النطق ، والناحية الصرفيه .

اقول على الرغم من هذا فانّا نجد ابن جني يميّز تمييزاً واضحاً بين الصوت والحرف فالاول على رأيه مشترك بين الانسان والحيوان . والثاني خاص بالانسان ، ثم لابُدّ لكل حرف من صوت ولا ينعكس(٣٨) وقد استطاع طاش كبري زاده(ت.١٥٦٠م) في مفتاح السعادة ان يدُل على الفرق بين الصوت والحرف كما فعل ابن جني ، فلـــم يكتف بملاحظة الكيفية والكميّة والصفـــات العارضـــة للاصـــوات العربيـــة بحســب ما تقتضيه طبائع العرب . بل بلغت عنايته بعلم الاصوات الغربية حدّ الاشارة بعلم التشريح خاصة والعلم الطبيعي بوجه عام . حين صرح بانّ علم (مخارج الحروف) « يُستمد من العلم الطبيعي وعلم التشريح». (٣٩) ولعلّ مصطلح طاش كبري الذي اطلقه على الاصوات وهو مصطلح (علم مخارج الحروف) يُعدّ في نظر بعض الباحثين اول تسمية محددة شاملة لما يطلق عليه (علم الاصوات) في العصر الحديث .(٤٠) وانّا وانْ كنـــا لانعدّ الفارابي

(ت٣٢٩هـ)لغوياً بالمعنى الخاص إلا اننا نجد لهذا الفيلسوف الكبير شغفاً واهتماماً كبيرين بقضايا اللغة ، ويُعدّ كتابه (احصاء العلوم) « اقدم كتاب من نوعه في اية لغة ». (٤١) قدّم لنا فيه صاحبه ترتيباً لعلوم اللغة في نسق واحد ، وخلع على مجموع تلك العلوم لقباً شاملاً هو (علم اللسان). وبغضّ النظر عن تفاصيل ذلك فانّ اهم مايلفت الانتباه في كتاب الفارابي هذا ماذكره عن مفهوم كلمة الحرف . فقد ذكر من بين علوم اللغة علماً سمّاه (علم قوانين الكتابة). ورأي ان هذا العلم « يميز اولاً مالا يكتب في السطور من حروفهم وما يكتب» وفي ذلك اشارة واضحة إلى أنّ الحرف الذي لايكتب انما يقصد به الصوت . وعن (علم قوانين تصحيح القراءة) ذكر انّ هذا العلم « يعرف مواضع النقط والعلامات التي تجعل عندهم لما يكتب في السطور من حروفهم ». فالحركات والشدّة مثلاً رموز تمثل اصواتاً وليس لها حروف مستقلة تكتب . (٤٢)

وفي كلام الاديب العربي الكبير الجاحظ (١٦٠هـ — ٢٥٥ هـ) مايشير إلى أنّ العرب قد وُفّقوا في بيان الفرق بين الحرف والصوت فعنده انّ كل مايخرج من الفم صوتاً . فان قصد [illegible] كلاماً اصبح حرفاً ، سواء أكان منطوقاً ام مكتوباً ، يقول : «الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به تقطيع ، وبه يوجد التأليف . ولا تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ، ولا منثوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف » (٤٣) وبالاستناد إلى ماعرضناه من اقوال القدماء . ثم بالاستناد الى ما يقرره الدرس الصوتي الحديث يتحقق امامنا أنّ الحرف وحدة كتابية لا توجد لها صورة مستقلة . وهو عنصر يدخل في تركيب الوحدة الحيّة المستعملة وهي الكلمة . وباختلاف تركيب الحروف تختلف الدلالات . وتتعدد الكلمات . وعلى الرغم من انّ لكل حرف لفظاً ، ولكل لفظ صوتاً . الاّ انّ الصوت باعتباره عملية حركية ذات اثر سمعي ، وهو من اداء المتكلم في نشاطه اللغوي العادي اليومي قد يطلق على الكلمة ، أو على (المقطع). (٤٤)

او على الحرف كأقلّ وحدة نطقية (فونيم) تعود إلى جهاز التصويت : وهو ـ اعني الحرف ـ وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الاصوات على العدد الاقلّ من الحروف ، وقد يشتمل الحرف الواحد على اكثر من صوت واحد ، كما يشتمل (الميم) مثلاً على اصوات مختلفة ذو الاظهار ، وذو الاخفاء ، وذو الاقلاب « وكما يشتمل (النون) على عدد من الاصوات يأتي كلّ منها في بيئة صوتية خاصة حتى ان بعض اصوات النون كالذي في(ينظر) ينطق باخراج الاسان كاخراجه فيالظاء» (٤٥)، فالحرف كمـــــا يقول ارسطو : « صوت لايتجزأ ، وهو صوت معين ومن طبيعته ان يدخل في تركيب صوت معقد » ، (٤٦) وهو وحدة الدراسة اللسانية الصغرى لانه رمز للصوت ، وكل حرف صوت وليس العكس ، لان الاصوات التي يمكن للانسان انتاجها تشكل عدداً لامتناهياً ، ولما كانت قابلية الاستماع عند الانسان محدودة ، ولتلافي الارتباك الذي سيحصل في السمع لو صنّفت جميع الاصوات المنتجة، ومن منطلق رياضي ، استطاع الانسان أن يرمز لذلك العدد اللا متناهي من الاصوات بمجموعة محدودة من الحروف مراعياً في اختيار الاصوات المستعملة والمرموز لها بالحروف امرين هما : سهولة ادائها ، وسهولة استيعابها .

وقد امتلك الانسان قابلية تحويل الاصوات لانتاج اصوات اخرى ، فمن : (ر ج ب) يمكن ان نصوّت بـ (رجب ، جبر ، برج ، بجر، جرب ، ربج) فان اضفنا اليها صوتاً آخر امكن انتاج اضعاف هذا العدد من الاصوات . وهكذا. وهذا التنويع الصوتي عند الانسان تنويع ارادي ، بينما نجده عند باقي الحيوانات تنويعاً غريزياً حيث لايكون الحيوان واعياً عند اصدار الاصوات ، ولهذا تعذّر عليه تعلّم لغة غيره . وكذلك فانّ الحيوان يصدر اصواتاً لاتتجزأ. ولهذا لانستطيع ان نطلق عليها مصطلح (الحروف) .

الأصوات العربية : ــ

درس اللغويون العرب الاصوات العربية من زوايا متعددة ، فقد وضعوا منذ القرن الثاني الهجرة . الثامن للميلاد أبجدية صوتية للاصوات العربية. باعتبار حركي عضوي وبالنظر إلى مخارجها « وهي اماكن يمكن تعيينها في اعضاء النطق بوسائل مختلفة ، (٤٧) ابتداء من أقصى الحنجرة حتى الشفتين وكانت ابجدية الخليل (ت ١٧٥ هـ) الصوتية أول ماعرف في هذا المجال. ثم تلاه سيبويه (ت . ١٨٠هـ) ، وابن جني (ت. ٣٩٢ هـ) وغيرهما ممن فعلوا فعله ، امثال : الازهري في كتابه تهذيب اللغة وابن سيدة في المحكم والمازني في كتابه التصريف . والفراء في معاني القرآن . ولقد استطاع هؤلاء ــ على تفاوت في المعطيات ــ ان يصنفوا الاصوات من حيث عددها ، ومن حيث حيّزات نطقها ، وسماتها شدةً . او رخاوة ، جهراً ، او همساً . انطلاقاً من معرفة دقيقة في طريقة انتاج الصوت والتحكم في مجرى الهواء.

واستطاع سيبويه وابن جني خاصة ان يبينا وظائف الاصوات او مايسمّى اليوم بالتعاملية وهي مؤتلفة في بناء لفظي . ومدى ارتباط الاصوات بالدلالات وكذلك وقفا عند كثير من الظواهر الصوتية كالاعلال ، والابدال ، و الادغام، والوقف ، والحذف ، والتخفيف والاستثقال ، والتوافق الحركي وغير ذلك محاولين تقديم العلل لتبرير هذه التحولات الصوتية التي تعتور الالفاظ ، مدركين إلى حدّ بعيد الاسس الفسيولوجية في تكوين الاصوات المختلفة، وذلك بفحص عمليات النطق . وتحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت. ودرجة اتصالها ، وغير ذلك من البحوث الصوتية المختلفة التي اكتسبت في اكثر وجوهها اعتراف علم اللسانيات الحديث ، والتي نعلم اكثرها في مباحث اليونانيين والرومانيين . « اذ قامت الدراسات الصوتية عند هؤلاء في جملتها على بيان الآثار السمعية التي تتركها الاصوات في الاذن». (٤٨)

ولا نكاد نجد فروقاً جوهرية بين دراسات المتقدمين في هذا المجال . وما توصل اليه الدرس الحديث ، ولاستنباط هذه الحقيقة لابد لنا من الرجوع

إلى بدايات الدرس الصوتي عند العرب ، واول مايطالعنا في هذا الميدان الخليل بن احمد الفراهيدي في ابجديته الصوتية المعروفة ، فقد قسّم الاصوات بحسب مخارجها مبتدئاً بالمجموعة الحلقية ومنتهياً بالمجموعة الشفوية ، وبحسب التقارب او التباعد الحاصل بين هذه المجموعات من حيث مخارجها، وبحسب ماتشترك فيه كل مجموعة من صفات صوتية ، ناظراً إلى جهاز النطق عند الانسان . متعرفاً على حدوده وباجزائه المختلفة . وقد استقر له ترتيب الاصوات العربية بايرادها على مجموعتين اثنتين ، تمثل كل مجموعة صنفاً من الاصوات يختلف في الخواص والسمات عن الاخر .

يقول الليث : « قال الخليل : في العربية تسعة وعشرون حرفاً ، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها احياز ومخارج ، واربعة هوائية ، وهي : الواو ، والياء ، والالف اللينة ، والهمزة » (٤٩) وقد رتّب الخليل الحروف الصحيحة والهوائية بحسب مخارجها على النحو الاتي :

حلقية وهي : ع ، ح ، هـ ، خ ، غ ، ولهوية (ومبدؤها من اللهاة) وهي : ق ، ك. وشجرية (ومبدؤها من شجر الفم ، اي من مفرجه) وهي : ج ، ش. واسلية (من اسلة اللسان وهي مستدق طرفه) وهي : ص ، س ، ز . ونطعية (من نطع — سقف — الغار ، وهو الاخدود بين اللحيين من داخل الفم الاعلى (وهي : ت ، ط ، د. ولثوية (ذلق اللسان) وهي : ظ ، ذ ، ث. وشفوية . وهي : ف ، ب ، م. وهذه هي الحروف الصحاح امّا الهوائية فهي : ي ، و ، ا ، الهمزة ، وهي «هاوية لايتعلق بها شيء ».

ثم تلاه سيبويه بأن رتبها على النحو الذي يشير اليه قوله : «هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ، ومهموسها ، ومجهورها ، واحوال مجهورها ، ومهموسها ، واختلافها . فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة ، والالف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشين ، والياء ، واللام ، والراء ، والنون ،

والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروع ، واصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والالف التي تمال امالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي ، والف التفخيم ...» (٥٠) وقد وزّع سيبويه هذه الحروف بحسب مخارجها على النحو الذي يشير اليه الجدول رقم (١). (٥١) وبالاضافة إلى مايسجله بعض المحدثين (٥٢) على الخليل من اضطراب واضح في ترتيب الاصوات ، وعلى الرغم من أنّ الاساس الذي اعتمده سيبويه في تصنيف الأصوات هو ماجاء به الخليل ، فانا نجد اختلافاً بيّناً بين الرجلين في هذا المجال يمكن تحديده في النقاط الآتية :

أولاً :

جعل الخليل الهمزة آخراً ، وهي عنده (هوائية) ، بينما جعلها سيبويه اولاً ، وهي عنده (حلقية) . ورأي سيبويه معتمد من لدن ابن دريد في جمهرته ، والزمخشري في اساس بلاغته (٥٣) والذي يبدو أن الخليل كان يدرك ماذهب اليه سيبويه من أن الهمزة أعمق مخرجاً ، غير أنّه واجدها تتغير دائماً بأن تكون أولاً ، وثانياً ، وثالثاً ، مما حدا به إلى أن يعدّها ضمن الحروف الهوائية (حروف العلة) . وهي اليوم من الاحرف التي صعب على الباحثين التحقق من طبيعتها من حيث الصحة والاعتدال اضافة إلى أنها لاتملك صورة كتابية ثابتة . فلم تنسب عند الخليل إلى حيّز أو مخرج معين من اللسان . وفي مقدمة العين مايشير إلى هذا التعليل .

ثانياً :

وقد اختلف الرجلان أيضاً في تقديم وتأخير بعض الأصوات على بعضها . فيذكر الخليل مثلاً القاف قبل الكاف ، والعكس عند سيبويه ، ويقدّم الصاد على السين والزاي ، بينما يجعل سيبويه الزاي أولاً ، والصاد أخيراً .

وغير ذلك مما لايخفى على المتأمل لترتيب كلّ منهما . ومع هذا فانّا نجد الخليل قد أتى في الواقع بأهم خاصة من خواص الحروف اللينة ، وهي حرية مرور الهواء حال النطق بها ، فلا يقف في طريقها عائق ، أو((لايتعلق بها شيء)) على حد تعبيره ، انها في الهواء ، ولا يمنع هواءَها شيء ، وانما ينسلّ إلى الخارج طليقاً ، واذا اردنا أن ننسبها إلى حيّز مانسبناها إلى الهواء. ووصفناها بأنها «هوائية» كما صرّح هو بذلك أكثر من مرة. (٥٤)

كما أنّ الخليل ومن بعده سيبويه قد استطاعا أن يقدّما تقسيماً يقترب — كما سنرى — إلى حدّ بعيد مما يقرره علم الأصوات الحديث . وخاصة في ترتيب تلك الأصوات داخل مجموعات معينة ، «ومن يدري لعله لو كان قد أتيح للخليل أن يشتغل في معامل الأصوات التي يسّرها لنا العصر الحديث لكان قد وصل ، ومن بعده سيبويه إلى نتائج أدق من هذا» (٥٦) .ولا يمكن أن نتحدث عن تقسيم الاصوات عند القدماء دون أن نقف عند ابن جني لما له في هذا الميدان من دور بارز ، وتصوّر بارع لطبيعة الأصوات العربية ، وصفاتها المختلفة ، فقد وضع ترتيباً جديداً للاصوات العربية اثبتناه إلى جانب ترتيب سيبويه. ووزع كل منهما هذه الاصوات بحسب مخارجها على النحو الذي يشير اليه الجدول رقم (٢) اما تقسيم مخارج الاصوات العربية كما تفهم وتنطق اليوم وفي ضوء تشريح الجهاز النطقي، واستخدام المناهج الآلية فهي: المخرج الحنجري ومنه مخرج الهمزة والهاء. والحلقي، للعين والحاء، واللهوي القاف. والطبقي للغين والخاء والكاف. والغاري الجيم والشين والياء. واللثوي للام والراء، ويشترك مع الانفي في اخراج النون. والاسناني اللثوي مخرج السين والصاد والزاي والتاء والطاء والدال والضاد. ثم الاسناني مخرج الثاء والظاء والذال. والشفوي الاسناني للفاء. ويأتي الشفوي بعد ذلك للباء والواو. ويشترك مع الانفي في اخراج الميم. وقد يتفرع من بعض هذه المخارج اصوات فرعية بحسب المواقع .

الجدول رقم (١) في ترتيب الأصوات العربية

سيبويه (ت. ١٨٥هـ)	ابن جني (ت ٣٩٢هـ)	الترتيب الحديث	الملاحظات
الهمزة، الالف، هـ،	كذلك	الهمزة، هـ.	
ع، ح، غ، خ.			
ك	ق	ع، ح	
ق	ك	غ، خ، ق، ك	
ض	ج، ش، ي	ج، ش، ي.	
ج، ش، ي	ض	ل، ر، ن	
ل	كذلك	س، ص، ز، ت، ط	
ر	=	د، ظ	
ن	=		يلاحظ ان ابن جني قد ذكر هنا النون بعد الراء بعكس ما فعله عند بيان المخارج إذ وضعها قبل الراء وهو ما يناسب الترتيب الحديث.
ط، د، ت	=	ث، ض، ذ	
ص، ز، س	=	ف	
ظ، ذ، ث	=	ب، و، م	
ف	=		
ب، م، و	=		

وبتأمل هذه التقسيمات مجتمعة يمكن استنباط اوجه الشبه والاختلاف بين القدماء انفسهم، وبينهم وبين المحدثين الذين اسعفتهم الآلة وفتح المغالق امامهم علم التشريح، واول ما يبدو امامنا أن ابن جني وانْ اعتمد ترتيب سيبويه اساساً في وضع ترتيبه إلا انّه قد تفوق على سيبويه في هذا المقام، بالاحتكام إلى ما يقرره علم الاصوات الحديث، ويتضح ذلك مثلاً من تقديم ابن جني القاف على الكاف، بما يتفق والتقسيم الحديث، وتقديم ال (ج ش ي) على الضاد خلافاً لسيبويه، وهو ما يتفق ايضاً والترتيب الحديث. ومع هذا فانا نجد سيبويه ومن بعده ابن جنّي قد استطاعا ان يقدّما تقسيماً للاصوات العربية يكاد أن يتفقا فيه اتفاقاً تاماً، من جهة، ويكاد أن يقتربا فيه مما يقرره علم الاصوات الحديث، على الرغم من انّ ترتيبهما الاصوات داخل المجموعة الواحدة يختلف احياناً عما هو عليه في الترتيب الحديث، ويمكن ردّ ذلك إلى امرين اساسيين :

اولهما : انّه من المحتمل ان يكون قد حدث تطور من نوع ما للاصوات العربية من حيث مواضع نطقها منذ زمن سيبويه ، ومن بعده ابن جني إلى وقتنا الحاضر. «وهذا احتمال على كل حال . فليست لدينا ادلة يقينية تثبت او تنفي هذا التطور، لان التطور في الاصوات بالذات لا يتأكد الا في الاستماع الفعلي ... ولكننا لا نهمل فكرة التطور هذه بحال من الاحوال اعتماداً على ما نعرفه على الشاهد الملموس الان في اللهجات العامية، ففي هذه اللهجات تطورات صوتية ضخمة واضحة اذا ما قيست بما يقابلها في اصوات اللغة الفصيحة الحالية(٥٨)

وثانيهما :

ان الوصف العلمي الدقيق للاصوات في عصرنا قد تمّ بمعية الالة وعلى ضوء علم التشريح، ولم يتأت للقدماء ذلك، ولو اتيح لهم ذلك لكانوا قد اصابوا كثيراً من اوجه الحقيقة ، ولو إلى نتائج ادق واقرب إلى ما توصل اليه المحدثون.

وعلى الرغم من انّ مجال الاتفاق بين القدماء والمحدثين اوسع من مجال الاختلاف، وعلى الرغم من انّ كثيراً من نقاط الاختلاف بين الطرفين يمكن ان نغضّ الطرف عنها وان نهملها وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق ، فليس هنالك في الواقع حدود فاصلة فصلاً تاما بين بعض هذه المخارج . ومن ثم فانّه من الجائز ان تنسب مجموعة من الاصوات الى مخرج معين ، وينسبها باحث آخر إلى مخرج قريب منه او متصل به ومتداخل معه ، او ربمّا يرجع الخلاف بيننا وبينه (او بين غيره) إلى الملاحظة الذاتية . والخبرة الشخصية. اقول الرغم من هذا ، وغيره من الاختلافات الفردية في الخبرة الصوتية واللغوية بوجه عام بين المتكلمين (٥٩) فانه لايمكن التسليم بما جاء به القدماء في جملته وتفاصيله قياساً إلى ما تأكدّ في عصرنا، اذ نجد هنا وهناك بعض اوجه الاختلاف بين معطيات القدماء والمحدثين ، بما يمكن ايجازه بالاتي(٦٠) .

أولاً :

جعل سيبويه خلافاً للخليل الهمزة اول الاصوات العربية مخرجاً ، وهو ما ذهب اليه ابن جنّي، وهذا حكم سليم بالنظر الحديث ، مع فارق واحد هو ان القدماء ، قد جعلوا مخرج الهمزة من (اقصى الحلق) . ومخرجها عند المحدثين من (الحنجرة) ، والحنجرة سابقة للحلق ، «ويمكن قبول رايهم — اعني القدماء — بافتراض انهم ربما اطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها، وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بـ (اقصى الحلق) على الرغم من ان القدماء لم يشيروا إلى الحنجرة في كلامهم ولم يعدّوها من مخارج الاصوات العربية(٦١).

ثانياً :

عدّ سيبويه ووافقه ابن جني (الالف) من ذوات المخارج ، ومخرجها عندهما من (اقصى الحلق) ، ولم يذكرها المحدثون منسوبة إلى مخرج، معين بوصفها حرف مدّ يمثّل في اللغة العربية وفي كل مواضعه حركة

جدول رقم (٢) : مخارج الاصوات العربية قديماً وحديثاً .

ترتيب	موضع المخرج	سيبويه	ابن جني	العصر الحديث	الملاحظات
١–	اقصى الحلق	الهمزة ، هـ – الالف	كذلك	الهمزة ، الهاء (حنجرية)	المخارج : ١، ٢، ٣
٢–	وسط الحلق	ع ، ح	=	كذلك (حلقية)	اصوات حلقية مع
٣–	ادنى الفم	غ ، خ	=	ق (لهوية)	اختلاف في الموضع الحلقي بعداً او قرباً .
٤–	مما فوق الثنايا من اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى	ق	=	غ ، خ ، ك ، و	اصوات طبقية في العرف الحديث ومخرجها اقصى الحنك.
٥–	من اسفل من ذلك وادنى الى مقدم الفم	ك	=	— — —	
٦–	من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى .	ج ، ش ، ي	=	كذلك (غارية)	سماها القدماء (شجرية) نسبة الى شجرة الفم .
٧–	من اول حافة اللسان ومايليها من الاضراس	ض	=	— — —	
٨–	من ادنى حافة اللسان الى منتهى طرفه فما فوق مقدم الاسنان .	ل	=	ل ، ر ، ن	واصطلح عليها حديثاً بـ (اللثوية)
٩–	من طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا	ن	=	كذلك .	بالاشتراك مع المخرج اللثوي .
١٠–	من مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان	ر	=	— — —	
١١–	مما بين طرف اللسان واصول الثنايا	ط ، د ، ت .	=	ز ، س ، ص	من مخرج واحد هو
١١–	مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا	ز ، س ، ص .	=	ض ، ط ، د ، ت	الاسناني اللثوي .
١٣–	مما بين طرف اللسان واطراف الثنايا	ظ ، ذ ، ث .	=	كذلك	اصوات اسنانية.اومما بين الاسنان.
١٤–	من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا.	ف	=	=	صوت اسناني شفوي
١٥–	مما بين الشفتين .	ب ، م ، و	=	=	اصوات شفوية
١٦–	من الخياشيم	النون الخفيفة	=	— —	يشترك في اخراجها اللثوي والانفي.

هي الفتحة الطويلة، وما نطقها الا نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية، لا لأقفال، ولا تضييق في مخرج بعينه. شأنها في ذلك شان العلل والحركات «فليس للالف نقطة انتاج معينة على طول مجرى الهواء لان اللسان يكون معها في واقع الامر في وضع اراحة اي: ممتداً(٦٢).

وهذا ماشعر به الخليل كما اشرنا حين تصوّر انها تخرج من مكان لايمكن رصده. اذ وجدها تتغير دائماً بان تكون اولاً. وثانياً. وثالثاً. فدفعه ذلك الى اعتبارها حرفاً هوائياً وضمّها الى حروف العلة. وقد يعترض البعض على اعتبار الالف حركة في كل مواضعه بالياء والواو. وقد ذكرا في تقسيم المحدثين، وهذا الاعتراض مردود لان الياء والواو جانبين (٦٣) الاول كونهما حركتين طويلتين ايضاً هما: الضمة والكسرة. والثاني كونهما من الاصوات الصامته وهما مذكوران في تقسيم سيبويه وابن جنّي بهذا الوصف الاخير، بدليل وضع الياء مع الجيم والشين. وهذا ما لا يمكن عمله بالنسبة للياء المديّة (اي: الكسرة الطويلة).

ثالثاً:

واذا كان حكم سيبويه وابن جني على الهمزة بانها اول الحروف مخرجاً حكماً سليماً لا غبار عليه بالمنظور الحديث، فانما يقع الاعتراض عليهما من جهة جعلهما الواو آخر الحروف مخرجاً، واعتباره حرفاً شفوياً، اذ أنّ البحوث الحديثة تثبت أنّ «الواو في نحو (ولد) تخرج من اقصى الحنك اي من منطقة الكاف او ما يقرب منها مع اتخاذ الشفتين وضعاً معيناً، ولكن ذلك لا يكفي لعدّها شفويّة. واذا اردنا أن نجمع بين هاتين الجهتين يمكن القول بانّ الواو (حنكية — قصيّة) اي (من اقصى الحنك) شفوية(٦٤). وربما يكون وضعها مع الكاف واخوتها ادق من وضعها مع الباء والميم على الرغم من انّ بعض المحدثين قد اعتمدوا راي سيبويه في عدّ الواو شفويه (٦٥).

رابعاً:

أخّر سيبويه وابن جني (القاف) في الترتيب عن (الغين والخاء والكاف) مع أنّ القاف مخرجها عند اللهاة، ومخرج الثلاث الاخريات في الطبق، وهو

الجزء الرخو من سقف امام اللهاة مباشرة، ولهذا السبب يضع المحدثون القاف قبل الغين والخاء سابقة لهما لا تالية، ومنهم من يضمّ القاف الى الغين والخاء، ويسمّي الثلاثة بـ (الاحرف اللهوية) (٦٦) .

خامساً :

قدّم سيبويه وابن جني الضاد في الذكر والمخرج، وحقها اليوم – كما سنرى – ان تذكر في موضع متأخر، بان توضع مع المجموعة الاسنانية اللثوية، وهي: (ط، د، ت) هذا اذا اغفلنا حقيقة ما اصاب نطق الضاد عبر العصور، فقد فقدنا اليوم نطقه القديم تماماً، وخرجت به كل لهجه عربية مخرجاً جديداً متراوحاً بين الظاء، والدال المفخمة، والطاء، ومن غيرها يرى فريق وجوب التسليم بالوصف القديم للضاد (٦٧) .

سادساً :

جعل سيبويه ووافقه ابن جني مخرج (الصاد، والزاي، والسين) من بين طرف اللسان وفويق الثنايا، فهو على هذا الاساس يلي مخرج (الطاء، والدال، والتاء). ويُعدّ اليوم العكس، فيتقدم (الصاد، والزاي، والسين) مخرجاً ورتبة ثم تليه مجموعة (الطاء، والدال، والتاء). والملاحظ في نطقنا الحالي للزاي، والسين، والصاد، هو وضع طرف اللسان خلف الاسنان العليا مع التقاء مقدّم اللسان باللثة التقاءً خفيفاً من شأنه ان يحدث الاحتكاك الذي نسمعه عند نطقها ومعنى هذا أنّ هذه الاصوات (سنيّه) لو نظرنا الى الوضع الاول. ولكنها (لثوية) بالنسبة الى الوضع الثاني. ومعناه ايضاًصحة تسميتها بـ (اسنانيه – لثوية) بالاعتبارين معاً. وهذا هو الذي دفعنا الى ضمّ الضاد والطاء والدال والتاء معها وجعلها من مخرج واحد.

سابعاً :

اما ترتيب بقية الأصوات عند سيبويه وابن جني فهو ترتيب معقول ومقبول بل ان بعضها كما في حالة (الفاء، والباء، والميم) مثلاً، قد بلغ غاية في الدقة، والذي يعكر صفاء الرجلين ومن تابعهما من القدماء هو نسبة بعض هذه الاصوات

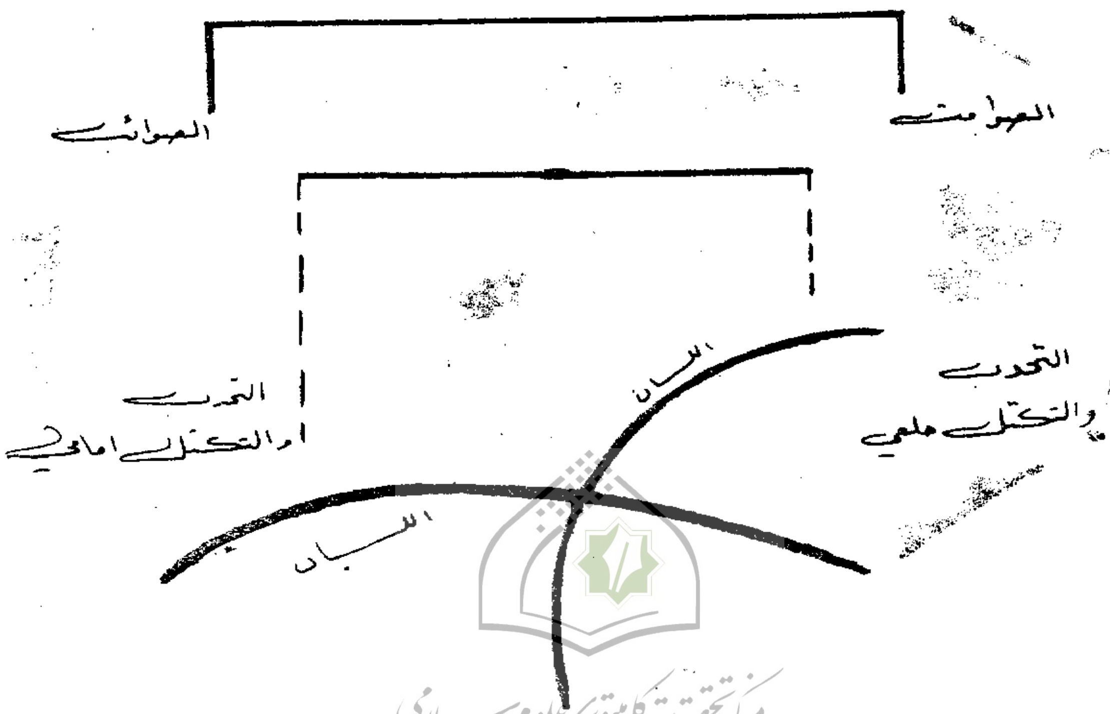
الى مخارج يختلف الدرس الحديث معهم فيها، وسوف تتضح ابعاد هذا الاختلاف وغيره اكثر في موضع لاحق، حيث ستتحدث عن تقسيم جديد للاصوات العربية بالنسبة لصفاتها .

صفات الأصوات : لما كان المخرج الواحد مشتملا على اكثر من صوت واحد، فقد تمّ تقسيم الاصوات تقسيماً جديداً وذلك بحسب صفاتها، ولما كانت البيئة الصوتية اساساً في هذا التقسيم الفينا نوعين رئيسيين من الأصوات هما: الاصوات الصائتة Vowels ، والاصوات الصامتة Consononts (٦٨) ولعلّ الفرق الاساس بينهما هو قوّة الوضوح السمعي أو عدم قوته فيهما، فمن ابرز خصائص الصوائت (الحركات) هو قوّة الوضوح السمعي فيها ، والذي تقرره وتحدده وسائل خاصة معتمدة في تصنيف الاصوات وبيان صفاتها ومن اهمها طبيعة مجرى الاداء الصوتي، ففي الاصوات الصائتة يكون هذا المجرى اوسع مما هو عليه في الاصوات الصامتة، كماأن وضع اللسان من حيث قربه أو بعده من سقف الفم ، وطبيعة تكتله اماماً او خلفاً ، ودرجة تحدّبه (الشكل ١) ووضع الشفتين وطريقة مرور الهواء من الحلق والفم والانف. كلها وسائل يعتمدة في بيان نوع الصوت من حيث كونه صائتاً او صامتاً. كما أن تلك الوسائل تساعد على بيان صفات كلٍّ من الصوائت والصوامت . فمن الصوائت ما يوصف بالضيق close (high) كما في (I) حيث يكون وسط اللسان في (I) في اقصى حالة ممكنة من الارتفاع (دون ان يزيد الارتفاع فيوجد احتكاك يحوّله الى نصف علة (حركة). ومثله (u) دون فقدان علّيته .

ومنها ما يوصف بـ (نصف ضيق) halfclose (mid–high) ، كما في (e) حيث ينزل وسط اللسان معه في اتجاه قاع الفم بنسبة الثلث .

ومنها ما يوصف بـ (واسع (open (low)) كما في (a) حيث يكون اللسان معه راقداً وممتداً في الفم في وضع يشبه الاراحة.

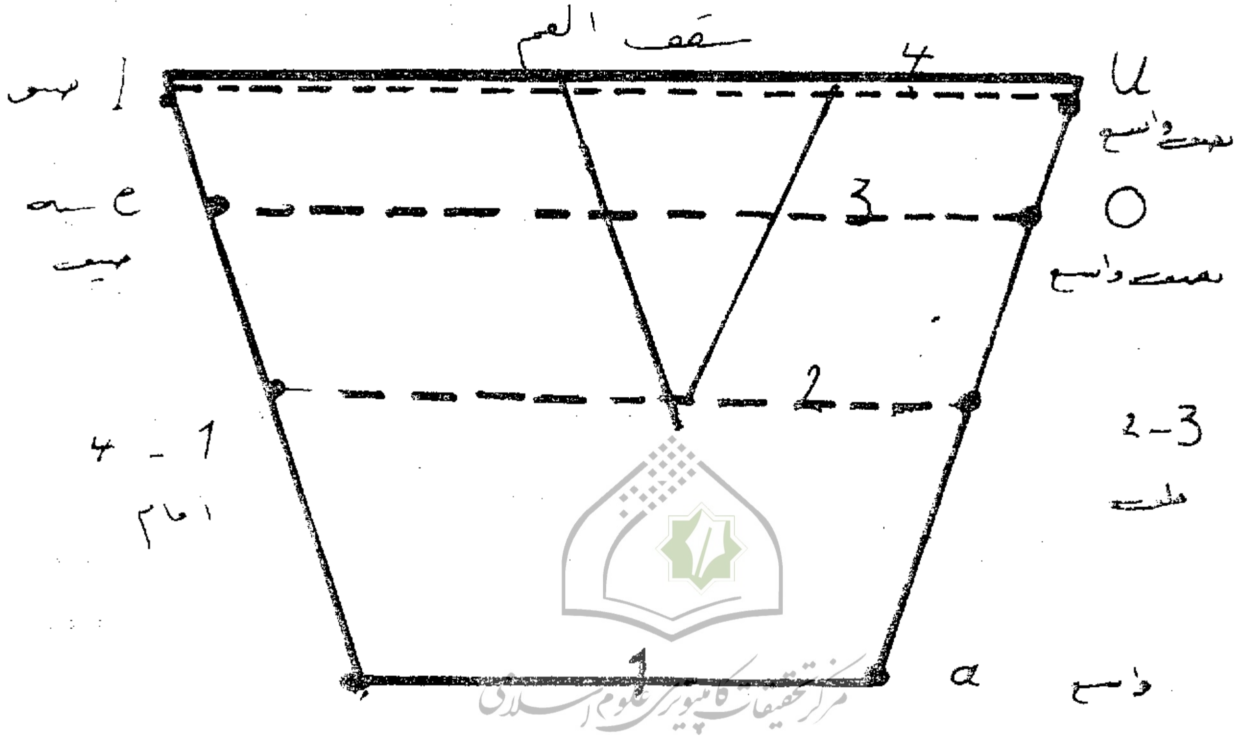
الشكل ١ . الصوامت والصوائت



ومنها ما يوصف بـ (نصف واسع) mid–low half–open كما في (O) وغير ذلك من صفات الصوائت (٦٩) .

وجملة القول ان الصائت صوت يتميز بأنّه الصوت الذي يحدث اثناء النطق به ان يمرّ الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه عائق او حائل. ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً . وكلّ صوت لا ينطبق عليه هذا التعريف فهو صوت صامت. فالصوت الصامت اذن هو الصوت الذي يحدث اثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء. سواء كان الاعتراض كاملاً كما في نطق اصوات (الدال) أو (الطاء) او (التاء)، أم كان الاعتراض جزئياً من شأنه أن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع . كما في نطق اصوات (الحاء) او (الخاء) او (الغين) .

الشكل "٢" تقسيم الصوائت.



وقد تمّ تقسيم الاصوات الصامتة بدورها الى اقسام عديدة وباعتبارات خاصة بغية تمييزها فقسمت من حيث وضع الاوتار الصوتية الى :

أصوات مجهورة وأصوات مهموسة : او صوتية. وغير صوتية. وفي الاصوات المجهورة تكون الاوتار الصوتية غير مقفلة اقفالاً تاماً. بحيث لا ينبجس الهواء من ورائها يتسرب ابداً كما يحدث من المرء عند رفع حمل ثقيل . وكذلك عند نطق الهمزة مشكلة بالسكون. وانما تتلاصق الاوتار الصوتية بخفة فتدع للهواء فرصة التسرب من بينها. اذ ترتعش او (تتذبذب) الاوتار الصوتية عند النطق محدثة اثراً سمعياً ليناً يسمّى الجهر Voiced . واصواته في العربية اليوم ستة عشر صوتاً هي : (الالف ــ ج ــ ي ــ ع ــ غ ــ ض ــ ل ــ ن ــ ر ــ د ــ ز ــ ط ــ ذ ــ ب ــ م ــ و). ويضاف اليها

الصوائت القصيرة : الفتحة والضمة والكسرة. اما في الاصوات المهموسة، ففيها تتقارب الاوتار الصوتية دون التصاق ،فيحتك الهواء الرئوي بها حين صعوده إلى خارجٍ دون ارتعـــاش او تذبذب محدثاً ما نسميه بالهمس (Voiceless)،واصواته في العربية ثلاثة عشر هي (الهمزة هـ— ح — خ — ك — ش ص — ت — س — ث — ف — ، ق، ط)

ومن الجدير بالذكر أنّ الاصوات المجهورة اقوى جرساً من المهموسة في حين تكون الاصوات المهموسة اقوى نطقاً في مستوى المجهود المبذول لما يصحب بعضها من استطالة كالزاي والسين، والصاد. كما ان من الاصوات ما ينتقل من حالة الجهر الى الهمس وبالعكس تحت تأثير الاصوات المجاورة أو حسب موقع الصوت من البنيه اولاً او وسطاً او آخراً ..

وهناك جملة من الاختبارات يمكن ان يجريها أي شخص لمعرفة ما اذا كان الصوت مجهوراً أو مهموساً منها : نطق الحرف المراد اختباره مشكلاً بالسكون ووضع اطراف الاصابع على الحنجرة تحت الذقن (فوق تفاحة آدم) فان احسست باهتزاز وارتعاش تحت اطراف الاصابع فهذا صوت مجهور. وإلا فهو مهموس. ومنها ايضاً : وضع اصابعنا في آذاننا ثم ننطق الصوت فنحس برنّته في رءوسنا علامة الجهر. وإلا فهو الهمس .

ومن خلال درجات انفتاح الاوتار الصوتية او اقفالها امكن تقسيم الاصوات إلى مجموعات رئيسية هي :

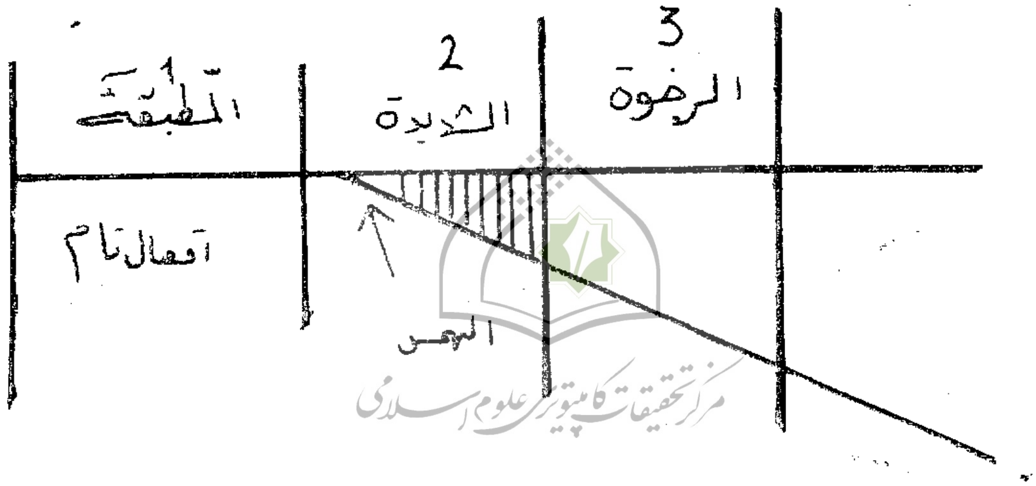
١ — الاصوات الشديدة : وفيها يقفل المجرى الفموي في طريق هواء الرئتين ويبقى مجرى الانف مفتوحاً مما يمنع الصوت من ان يجري حراً. ومن هذه الاصوات (الهمزة — ق — ب — ك — ط — د — ت — والجيم قديماً). وقد كانت تنطق مثل الكاف التركية مثل كلمة (كاء) اي انها كانت مشجرة(٧٠). وما زال كثير من البدو ينطقها كذلك حتى اليوم .

٢ — الاصوات الرخوة : وهي التي يضيق فيها المجرى الفموي قليلاً او كثيراً بحسب درجة الحاجز الذي يعترض الهواء، وهي اصوات الـ(هـ —

ح — غ — ش — ص — ض — ز — س — ظ — ذ — ف)التي يحدث عند النطق بها اثر صوتي احتكاكي .

٣— المتوسطة بين الشدة والرخاوة وهي اصوات ال (الالف— ع —ي — ل — ن— ر — م — و). ويمكن التمييز بين الشديدة والرخوة في اننا لا نستطيع في الشديدة أن نطيل النطق، لان الهواء الرئوي الخارج ينبجس مرة واحدة ؛ بينما نستطيع ذلك في الرخوة لمرور الهواء حراً طليقاً.

أما الاصوات المتوسطة فتحددها جزئية المانع وعدم قوته. فنستطيع ان ننطقها في مدّ قصير .



٤ — الاصوات المستعيلة والمنخفضة : والمستعيلة ما يستعلي اللسان عند تلفظها ويُرفع نحو الحنك وهي اصوات ال (غ — خ — ق — ظ — ض — ط) . اما المنخفضة او ما يُسمّى بـ (المستفلة). اي التي يستفل اللسان عند تلفظها ، فهي باقي الحروف .

وتوجد ضمن الاصوات المستعلية اربعة حروف معقدة المخارج، اذ يضاف اليها شبه مخرج ثان تشترك فيه هذه الاربعة. وهو رفع اللسان نحو ما يليه من الحنك مع تقلّص في الحلق واقصى الفم . وهذه السلسلة الصوتية مما تتميز به اصوات العربية عن غيرها. وهي حروف الاطباق (ض — ط — ص — ظ) .

فهذه اصوات مطبقة emphntiques ويقابلها في الترقيق ال(ذ ـــ ت ـــ س). فالاطباق في العربية اذن نوع من الاستعلاء، وعكسه الانطباق. وهذا الضرب من النطق للحروف المطبقة سائد في كلّ اللهجات العربية والارامية المستعملة اليوم .

واذا اردنا الازواج المتقابلة في الاطباق والترقيق وجدناها ثلاثة فقط هي :

ظ ذ// ط ت // ص س// .

امّا الضاد فلا مقابل لها. لتعقد مخرجها واختلاف القدماء والمحدثين حوله(٧٠). ويبدو انها كانت تشبه اللام من بعض الوجود. والفرق بينهما هو ان الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وانها من ذوات الدويّ، واللام غير مطبقة صوتية محضة (مجهورة). فالضاد العتيقة تبدو حرفاً غريباً جداً غير موجود في لغة من اللغات الا العربية، ولهذا كني عن العرب بالناطقين بالضاد، ويغلب على النطق ان النطق القديم للضاد لا يوجد الان عند أحد من العرب، غير ان لها نطقاً قريباً جداً منه عند اهل حضرموت وهو كاللام المطبقة .ويظهر أن الاندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ،ولذلك استبدلها الاسبان بـال (ld) في الكلمات المستعارة في لغتهم ومثال ذلك ان كلمة القاضي صارت في الاسبانية (alcalde). كما ان في بعض لهجات العرب من يلهج بالضاد لاماً نحو : الطجع في اضطجع .

٥ ـــ اصوات الذلاقة والاصمات : والذلاقة حدوث الصوت بين ذلق اللسان اي طرفه ومقدم الغار الاعلى. وهي اصوات ال (ل ـــ ر ـــ ن ـــ ف ـــ ب ـــ م) ومن هذه الاصوات ثلاثة (شفوية) لا اثر للسان فيها وهي اصوات ال (ف ـــ ب ـــ م)وثلاثة (لسانية) وهي اصوات ال (ل ـــ ر ـــ ن). اما بقية الاصوات فمصمتة .

٦ ـــ الاصوات الصفيرية : ويحدث عند النطق بها صفير . وهي اصوات ال (ص ـــ س ـــ ز). واذا كنا قد اطلنا الحديث عن صفات الاصوات فانما نريد بذلك تحديد مدى فهم اللغويين العرب القدماء لهذه الحقائق .

ومدى اوجه الاختلاف بين ما قرره اولئك المتقدمون، وما اثبتته وقائع البحث اللغوي الحديث.

فنقول : إنّ للقدماء في التفريق بين الاصوات، واقسامها، وصفاتها اراء تتفق حيناً، وتختلف حيناً آخر عمّا نعرفه في وقتنا الحاضر، ولعل اول ما يطالعنا في هذا المجال أن القدماء قد اطلقوا مصطلح (الحرف) على كل صوت بسيط في الكلام سواء كان هذا الحرف صحيحاً ام حركة طويلة كحركة المدّ واللين. وأنّ الاصوات الصامتة هي التي استحوذت على اهتمام القدماء وعنايتهم، وانهم قد وجهوا اليها معظم جهودهم، وبحوثهم الصوتية، فهي التي اخضعوها للتصنيف والتقسيم دون الحركات، وهي التي نظروا فيها نظراً جاداً من حيث مخارجها وصفاتها المختلفة. (٧٢) وانهم كذلك قد نظروا إلى الصورة المكتوبة فوجدوا حروفاً تدوّن فوقها (الحركات) او (العلامات) كالفتحة والضمة والكسرة.. فوصفوها بانّها (حروف متحركة). فانْ وجدوا حرفاً لا تدوّن فوقه تلك الحركات وصفوه بـ (الساكن)، دون أن يفرقوا بين المتحرك والساكن. ومن الثابت عندنا ان السكون لا يقابل انعدام الحركة. وان الحرف المتحرك عند المحدثين (صوت صامت). كما انّ الحرف الساكن عند القدماء ما كان خالياً من الحركات. وعند المحدثين غير ذلك، ومن هنا وجدنا للقدماء فهماً آخر للصوت الصامت، فهو عندهم الذي لا يمكن نطقه بدون حركة. وهو تعريف خاطيء ولا شك. اذ انّ من اليسير نطق الصوت الصامت وحده. بل ان هنالك كلمات كاملة في بعض اللغات تتألف الواحدة منها من صوت صامت واحد فقط (٧٣). واذا كان القدماء قد اهتموا بالحروف اكثر من الحركات لوجود رموز مستقلة للحروف دون الحركات التي ليس لها مثل هذه الرموز والعلامات

المعروفة (ـــَـــُـــِـ) علامات حديثة نسبياً اذ هي من ابتكار ابي الاسود

الدؤلي (ت ٦٩هـ) على ارجح الاراء (٧٤)، وليست لها بالطبع في نظرهم اهمية الحروف المستقلة، وهذا في واقع الامر منهج خاطىء تابع من النظر في الصورة المكتوبة دون النطق وهو الاساس في الدرس الصوتي، وقد كان اغفالهم له سبباً في صعوبه فهم كثير من النظريات العروضية وما منها من العلل والزحافات التي بُنيت في اكثر وجوهها على طبيعة الخط لا النطق على الرغم من النحاة قد ذكروا ان خط العروض غير قياسي لانه مبني على اللفظ وكان كذلك سبباً في اضطراب بعض اوجه النظام الاعرابي في الجملة العربية كما هو الحال في اعراب الاسماء الستة، والمثنى وجمع المذكر السالم، والافعال الخمسة .

اقول اننا في الوقت الذي نسجّل على القدماء مثل هذه الهفوات فانا لا نَعدم ان نعثر لهم على اقوال واراء تشير في جملتها إلى كثير من الحقائق العلمية التي تتفق مع ما نألفه اليوم من هذه الحقائق. فالحركات انما سميت كذلك — على رأيهم لانها تحرك الحرف وتقلقله، او كما قال بعضهم، لانها تجذبه نحو (الحروف) التي هي اجزاؤها فالفتحة تجذبه نحو الالف، والكسرة نحو الياء، والضمة نحو الواو، وهذا وان كان يعلل تسمية تلك الأصوات بالحركات دون أن يوضح خصائصها الصوتية لكنّه يشعرنا بادراك القدماء لخواص الحركات، وذلك بسبب ربطها بحروف المدّ (الألف — والياء والواو) وعدّها اجزاء منها، متولدة عنها ؛ بل ان منهم من يرى ان حروف المدّ هذه انما تولدت عن الحركات، بدليل أنّ كل حركة — على رأيهم — اذا اشبعت نشأ منها حرف مدّ يجانسها وعلى هذا فالحركة «سابقة الحرف لتوقف وجود الحرف المبدوء به عليها» (٧٥)، وعلى هذا أيضاً يجب اعتبار الحركات بداية لحروف المدّ ومعنى لها .

وعلى الرغم من انّ اللغويين القدماء قد ادخلوا الحروف المديّة، مع الحروف الساكنة، فوجدنا الخليل لا يربط الحروف المدية تلك بمخرج معين، وانما ينسبها إلى الهواء، فهي (هوائية)، اي انها في الهواء، وفي

حيز واحد، لانها لا يتعلق بها شيء (٧٦) إلا اننا نجد هؤلاء اللغويين وعلى رأسهم الخليل قد حددوا خواص هذه الحروف المديّة تحديداً يتفق تمام الاتفاق مع ما توصل اليه المحدثون، وبنوا العلاقة بينها وبين الحركات القصيرة.

فاذا كانت الحروف المديّة كما فهمها الخليل «هوائية» فمعنى انه يدرك كونها صنفاً من الاصوات يختلف عن بقية الحروف التي حدد مخارجها، ونسبها إلى احيازها، وقد ادرك ابن جني ذلك ايضاً، فعنده ان حروف المدّ حركات، وان (هواءها) يمرّ حراً طليقاً دون مانع يمنعه، في حين يدرك أن الاصوات الصامتة يقف هواؤها وقوفاً تاماً فلا «تجد للصوت منفذاً هناك» (٧٧)، او لا يقف مطلقاً، وانما يتسرب من خلال طريق ضيّق محدثاً اهتزازاً معيناً ذا اثر سمعي.

وقد نهج الخليل ومن تابعه منهجاً سليماً في بيان حقيقة الصوت، فكان اذا اراد أنْ يحقق صوتاً ليحدد مخرجاً جاء بالصوت ساكناً وقبله الف، فقال: إبْ — إتْ. وقد اشار ابن جني إلى هذا بقوله: «وسبيلك اذا اردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً، لان الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لان الساكن لا يمكن الابتداء به فنقول: إنْ — اقْ — اج، وكذلك سائر الحروف ...» (٧٨) ويتضح فهم ابن جني العميق لصنفي الأصوات الصامتة وحروف المد وهي الحركات بقوله: «فان اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت — يقصد الهواء — عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفد، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة، فينقطع بالضرورة عندها، إذ لم يجد منقطعاً فيما فوقها. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الالف ثم الياء، ثم الواو» (٧٩).

ومما يثير الاعجاب أن نجد ابا علي الفارسي (ت. ٣٧٧هـ) قد تنبّه إلى العلاقة بين الحركات القصيرة وحروف المدّ (الحركات الطويلة)، واوضح تلك العلاقة بما لا يمكن الاعتراض عليه من لدن المعاصرين؛ فقد قرر ان

«هذا الذي يسميه اهل العربية حركة حقيقة انه حرف، فالفتحة كالالف، والضمة كالواو، والكسرة كالياء في انهن حروف، كما انهنّ حروف. إلاّ انّ الصوت بهن اقل من الصوت بالالف واختيها، وقلّة الصوت بهن ليس يخرجهن عن أن يكنّ حروفاً، لان من الحروف ما هو اكثر صوتاً من حروف ك (الصاد) و (النون) الساكنة، فكما أن النون عندنا حرف وان كان اقل صوتاً من الصاد كذلك يجب أن تكون هذه عندنا حروفاً، وانْ كان الصوت بهنّ أقلّ من الصوت بما هنّ منه.

فالمسمّى حركة والحرف الذي معه هما في الحقيقة حركتان للناطق، وكل واحد منهما حرف، ويدلك على ما ذكرناه من هذا قيام كل واحد من الحرف والمسمى حركة مقام صاحبه، ألا ترى ان الحركة في (جَمَزَى) قد قامت مقام الالف عندهم في (حبارى)، فلم يقولوا في الاضافة اليها إلاّ (جمزيّ) كما لم يقولوا في الاضافة الى حبارى إلا (حباريّ)؛ واقاموا الحرف مقام الحركة في الاعراب، في نحو: يضربان، ويضربون.. ونحو (يخشى) و (يغزو) و (يرمي). فاذا حذفت عوّض عنها»(٨٠).

وعند ابن جنّي رأي يتفق الى حد بعيد مع رأي استاذه ابي علي(٨١). فكلا الرجلين قد حدد العلاقة بين حروف المدّ والحركات القصيرة بالكمية والزمن الذي يستغرقه نطق كل واحد منهما. ففي نطق نحو (ناصر) نستغرق زمناً اطول من نطق نحو (نَصَرَ). وهذه الكمية الزمنية المضافة انما يحددها نطق (الالف) بعد الصاد.

واذا كانت اللسانيات الحديثة قد منحت الحركات وجوداً مستقلاً. باعتبارها وحروف المدّ(٨٢) من طبيعة واحدة لا فرق بينهما إلاّ من ناحية الكم، وما أحرف المد إلا اصوات طويلة وحركات قصيرة مطولة تدخل على الاصوات المنهوكة صوتياً فتقويها، أو قل ان الحركة حرف مدّ. كما أنّ حرف المدّ حركة فانّ القدماء قد قرروا هذه الحقيقة واوضحوها إيّما توضيح وادركوا الفرق

بين الاصوات صوامتها وحركاتها، وان ما قرروه بالنسبة للحركات ينطبق عليها كلها سواء اكانت قصيرة أم طويلة كما رأينا .

امّا تقسيم الاصوات من حيث الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، فانّا واجدون للقدماء اهتماماً خاصاً بهذه الصفات، اقتربوا في جلّ معطياتهم في هذا الشأن من الحقيقة العلمية التي يؤكدها اليوم علم الصوتيات الحديث وان ابتعدوا عن هذه الحقيقة في بعض المواضع. فالصوت المجهور عند سيبويه «حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النّفَس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلاّ انّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشم، فتصير فيهما غُنّةٌ، والدليل على ذلك انك لو امسكت بانفك ثم تكلّمت لرايت ذلك قد أخلّ بهما»(٨٣) . فالجهر في راي سيبويه مرتبط بالجهر الذي يحسّه الناطق في الصدر والذي يتسبب عنه تسليط هواء الرئتين على المخرج، فيحدث الجهر في المخرج نتيجة (لاشباع الاعتماد) اي ضغط الهواء على المخرج. ويتضح هذا اذا عرفنا ان مصطلح (النفس) عند سيبويه انما يريد به الهواء المتسرب تسرباً ملحوظاً حين النطق ببعض الاصوات اللغوية كالفاء والحاء والسين وغيرها .

وعلى الرغم من أن القدماء ومنهم سيبويه لم يعرفوا الاوتار الصوتية بمفهومها العضوي الفسيولوجي(٨٤) ولم يكونوا على بينّة مفصلة بكيفية حدوث الجهر والهمس .لجهلهم طبيعة عمل الاوتار الصوتية . إلا انهم قد عبروا عن هذه الاوتار بمصطلحات توحي بانهم قد ادركوا دور الاوتار الصوتية فيقولون : هو الصوت الذي يجري من الصدر أو (مجرى الصوت)، وفطنوا ايضاً الى أنّ الجهر انما يحدث عند زيادة كمية الجهر الصدري، أو (عند اشباع الاعتماد) على حد تعبير سيبويه. وبا الهمس عنده على هذا الاساس إلا «حرف اضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه»(٨٥) . اما الاصوات المجهورة عند سيبويه«الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء .والضاد واللام والنونوالراء والطاء والدال والزاي والذال والباء والميم والواو» والمهموسة

«الهاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والضاد، والثاء، والفاء»
واذا كان سيبويه قد ادرك طبيعة الاصوات مجهورها ومهموسها دون الاستعانة بما يستعين به المحدثون في الدرس الصوتي، كالمخابر والاجهزة المختلفة، فانّما نجد عنده بعض الخلط بين الاصوات واول ما يطالعنا في هذا المجال انه يَعُدّ الهمزة صوتاً مجهوراً، في حين أن نطقها انّما يتمّ بواسطة اقفال الاوتار الصوتية اقفالاً تاماً ثم تفتح هذه الاوتار فتحاً سريعاً مفاجئاً فيحدث بذلك انفجار هو الذي يسمّى (الشدة) التي هي غير (الرخاوة) كما رأينا. ولا يمكن أن يكون مع اقفال الاوتار الصوتية جهر، ومن ثمّ يخطئ سيبويه، ومن نقل عنه في اعتبار الهمزة حرفاً مجهوراً، والذي يبدو أنّ القدماء قد خلطوا بين الهمزة والالف المجهورة لان الاخيرة تحمل الهمزة في الغالب فظنوها مجهورة مثلها، والذي يبدو ايضاً ان احوال نطق الهمزة المتقلّب عند العرب فهي تارة محققة، وتارة مسهلة في صورة مدّ، وتارة ميسرة في النطق مسببة عن اختلاف ضغط الهواء الصاعد اكثر لذا هي مسببة عن حركة الاوتار الصوتية وهي التي (بين بين)، وردوها مرة للوصل ومرة اخرى للقطع. هو الذي ادّى بسيبويه ومن بعدها الى عدم وصفها وصفاً دقيقاً، وتحديد صفتها الصوتية تحديد ناجحاً. وقد يكون اعتبار سيبويه الهمزة مجهورة «على سبيل التغليب في فصيلة الاصوات المجهورة»(٨٦) ناسياً انّ الهمزة المسهلة والواصلة والتي بين بين وقد خرجت عن صورة المدة او الحركة اصبحت مجهورة فهي في الواقع همزات في صورها الحاضرة، وانما هي مدّ أو حركة، وان وصف الهمزة لا ينطبق إلا على المحققة بينها .

وكما لم ينجح سيبويه في وصف الهمزة وصفاً دقيقاً حين عدّها مجهورة، نجد المحدثين قد اختلفوا في وصفها ايضاً، فهي عند بعضهم(٨٧) لا تكون إلا مهموسة لان الاوتار الصوتية تنطبق عند النطق بها، ولا تتذبذب (ترتعش)، ووصفها آخرون(٨٨) بانها صوت حنجري انفجاري لا بالمهموس ولا بالمجهور، لان فتحة المزمار معها تكون مغلقة اغلاقاً تاماً، فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة

إلا حين انفراج فتحة المزمار فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوت الهمزة. وحبس الهواء وراء المزمار ثم فتحه فجأة لنطق الهمزة يمنع جريان النفس معها هو الضابط الذي وضعه سيبويه لمعنى الجهر والهمس، فهي — اعني الهمزة — بهذا الضابط مجهورة لان النفس لا يمكن ان يجري معها، امّا بضابط ارتعاش الوترين الصوتيين فهي مهموسة لانهما يتحركان معهما بل لا يمكن ان يتحركا معها .ولهذا يرى البعض انه ليس موجباً لجعل الهمزة في وصف الجهر والهمس منزلة بين المنزلتين .

ونستنتج مما ذكره الاقدمون والمحدثون بشأن الهمزة أنّ النطق بالعربية قد تطور عبر الزمان بالمقاربة مع نظام الاصوات الذي ذكره سيبويه ونظام الاصوات في العصر الحديث، وذلك بتأثير اللهجات المحلية. ويمكن ان نتبين مثل هذه الفروق والتطورات اذا درسنا ظواهر التجويد والقراءات، ومظاهر اختلاف اللهجات .

اما القاف وهي مهموسة اليوم فقد عدّها سيبويه مجهورة، وهو محقّ في ذلك، اذ قد يكون النطق بها قديماً شبيهاً بنطق القاف الموجود عند بعض العرب، كالسودانيين الذين ينطقون القاف اليوم اقرب ما تكون الى الغين، وما يزال نطق القاف القديم باقياً عند بعض البدو. ولعل سيبويه يتكلم عن اخت هذه القاف التي كانت في ايامه .

واما (الطاء) فقد عدّها سيبويه ومن تابعه مجهورة. وتُعد اليوم (صوتاً اسنانياً لثوياً انفجارياً) فهي بهذا الاعتبار لا تكون إلا مهموسة. ونعدم أن نجد اثراً في العربية لطاء مجهورة. ولو كان عند سيبويه من العرب طاء تختلف عن طاء اليوم لبقي اثر ذلك ولو في احدى اللهجات المنعزلة غير الهامة، كما هو الحال في القاف كما رأينا. ويبدو أن الطاء كانت قديما دالاً مفخمة، كما كانت في السامية القديمة وما الدال إلا صوت مجهور، ولهذا فالطاء — نظيرها المفخم — صوت مجهور كذلك. ولعل هذا يفسّر قول سيبويه «لولا الاطباق لكانت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شيء في موضعها غيرها»(٨٩) .

واذا تجاوزنا الاختلاف الحاصل بين القدماء والمحدثين حول طبيعة اصوات (الهمزة والقاف والطاء) من حيث الجهر أو الهمس، لوجدنا ان هناك اتفاقاً يكاد أن يكون تاماً بين ما قرره اولئك وهؤلاء. اما من حيث (شدة الاصوات ورخاوتها) فانا نجد القدماء قد اقتربوا ايضاً فيما ذكروه بهذا الشأن من الحقائق التي توصّل اليها المحدثون، اذا اوجز سيبويه الاصوات الشديدة والرخوة بقوله:

«ومن الحروف (الشديد)، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء، وذلك انك لو قلت الْحَجَ ثم مددت صوتك لم يجر ذلك

ومنها (الرّخوة) وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والغاء. وذلك اذا قلت الطسُّ وانْقض، واشباه ذلك اجريت فيه الصوت ان شئت.

واما (العين) فبين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء(٩٠) وراى ابن جني أن مابين الشدة والرخاوة هي «الالف، والعين، والياء، واللام، والنون، والراء والميم، والواو ويجمعهالفظ: «لم يُرَوِّعنا (٩١).

وفي الوقت الذي نجد فيه أن الحروف التي ذكرها الاقدمون تحت مصطلحي (الشديدة) و(الرخوة) توافق ماعند المحدثين من حروف (آنية) occlusives وحروف (متواصلة) spinantes، او حروف (الفجارية) phosive وحروف (احتكاكية) fricative، ومع اخذنا بعين الاعتبار ان المحدثين انما يصفون اصواتاً تنطق اليوم. لا كما كانت تنطق في زمن سيبويه ومن تبعه، فانا لا نجد فروقاً اساسية بين ما توصل اليه المحدثون. واذا اردنا ان نقف على اوجه الخلاف الاساسية بين الطرفين فيمكن ايجاز ذلك بالآتي:

١ — ان اعتبار (الجيم) شديدة، قول سليم، فهي مجهورة شديدة مثل الجيم المصرية الحالية، لكنها لم تكن مثل الجيم المصرية بعينها لان مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف، ومخرج الجيم العتيقة هو مخرج الشين والياء. بما يشبه الجيم التي تنطق في العراق كما في (جمل) او (جيكاره)

العامية. اما وصف بعض المحدثين للجيم بانها (انفجارية- احتكاكية) (٩٢). فانما تأثر بالجيم الشامية، وذلك لان حبس الهواء كما يرون لا ينفرج فجأة كما في بقية الحروف الانفجارية و انما يبتعد عن الحنك ببطء يسمح للهواء بالا حتكاك، «ويبدو ان الذي جعل الجيم مع الحروف الاحتكاكية، والذي جعلها انفجارية احتكاكية لم يكن يصف الجيم الفصيحة كما وصفها القدماء وكما تنطق في العراق وانما كان يصف الجيم السورية المشربة صوت الشين بصورة مشبعة او مختلة وهي في الحالين تختلف عن وصف العلماء العرب لها».(٩٣)

٢ — لم يذكر القدماء (الضاد) ضمن الاصوات الشديدة وتعد بنظر المحدثين كذلك. وتنطق اليوم عند اكثر اهل المدن على هذا الاساس. ولعل انفراد الضاد بنطق صعب خاص ادى إلى اختلاف واسع بين القدماء والمحدثين حول طبيعتها الصوتية. وادّى ايضاً إلى اضمحلال صورتها الصوتية الاصيلة، ولم يبق من ينطق بها اليوم كما كانت تنطق قديماً. فقد اختلطت عند البعض بالظاء وعند آخرين بالدال المفخمة وعند غيرهم باللام المفخمة. ومن البدو من ينطقها اليوم (رخوة) وهكذا لم تبق العربية كما كانت لغة الضاد حسب خاصية هذا الصوت. يقول سيبويه «لولا الاطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً. ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شي من موضعها»(٩٤).

فصعوبة وصف الضاد جعلها تضمحل في النطق الحديث. وان بقيت مجموعة من الاصوات تشير اليها كما هو الحال فيما نجده عند «اهل حضرموت في نطقهم لها كاللام المطبقة كما اشرنا سابقاً.

٣ — اما (العين) فلا غبار على رأي القدماء فيها من حيث كونها متوسطة «بين الرخوة والشديدة، وان كان المحدثون يرونها صوتاً احتكاكيا»(٩٥). ويتأكد رأي القدماء اذا حكمنا على العين على وفق الضابط الذي ذكروه «وذلك انها يمكن ان يجري الصوت معها عند الوقف عليها. الا انّ في ذلك مشقة وكلفة، ويمكن معرفة ذلك بنطقها في كلمة (ارجع) مثلاً»، ومقارنتها

بصوتي الهمزة والحاء في كلمتي (ارجىء) و (ارجح) ، اذ يمكن ان نحسّ بوقفة الهمزة الاخيرة في (ارجىء) او شدتها او انفجارها كما عبّروا ، ولا يمكن اجراء الصوت بها ونحسّ بسهولة جريان الصوت في حاء(ارجح) الاحتكاكية او الرخوة ، اما عين (ارجع) فيمكن ان يجري النفس بهاء لكن ليس بسهولة جريه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة، ولذا عبّروا عنها بانها بين الشدّة والرخاوة اي أنّ العين لا هي بالحرف الشديد ولا هي بالحرف الرخو ..» (٩٦)

٤ ــ وقد احسن القدماء صنيعاً حين اخرجوا اصوات (الالف ، والياء، واللام، والنون، والراء، والميم، والواو) من الاصوات الرخوة، على نحو ما فعله المحدثون وتبنوه(٩٧) فالنون والميم يمتازان نغنّة خيشومية، بمعنى انّ الهواء ينحبس في الفم كما هو الحال في نطق الاصوات الشديدة ، غير ان جزءاً من ذلك الهواء يخرج من الانف مما يجعلهما تترددان بين الشدة و الرخاوة، وكذلك اللام والراء فانهما يمتازان بكيفية خاصة في النطق، اذ ان انحراف اللسان باللام و تردده بالراء ، يؤدي إلى التصاق طرف اللسان بالمفارز العليا في نطق اللام، فيمر الهواء بغزارة من جانبي اللسان بينما يلتصق طرف اللسان بالمفارز العليا ثم ينفتح فيمر الهواء بين الانغلاق والانفتاح غزيراً، وهذا الانفتاح في اللام والراء يجعلهما من الحروف الضعيفة القريبة من حروف العلة (الواو والياء). اما الواو والياء فيمتازان بانفتاح كبير جداً لقربهما من الحركات حيث يكون الانفتاح تاماً، يتسع فيه مخرج كل منهما بما لا يسمح بوقوف الهواء عنده ، ليرى ايجري به أم لا حتى يحكم عليه بالشدة او الرخاوة. ولذلك يقول النحاة العرب فيهما انهما (انصاف حروف) او (انصاف حركات) . ولا يمكن ان نستعمل عبارة (حروف العلة) لانها تشمل الالف في القديم بينما الالف في اللسانيات المعاصره فتحة طويلة ولا يمكن اعتبارها حرفاً وهذه الخاصية في الواو والياء هي التي جعلت هذين الحرفين كثيري الحذف والتغيير وهو ما يعرف بالاعلال.

الصوت والدلالة : يعدّ علم الدلالة اليوم غاية الدراسات الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية ، بل انه «قمة الدراسات اللغوية » (٩٨) . وقد حظيت قضايا الصوت والمعنى منذ القديم بأهمية بالغة عند العرب ، وغيرهم ، فقد بدأ البحث عن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي يتسق معها عند العرب في وقت مبكر ومنذ أن واجهوا مشكل الايات القرآنية واعجازها واستخراج الاحكام الشرعية واللغوية منها . سواء عند علماء الفقه والاصوليين ام عند اللغويين ، ادراكاً من هؤلاء ، لاهمية قضايا الصوت والمعنى . وقيمتها الدلالية في خدمة القرآن الكريم والشريعة الاسلامية ، وحفظ نقاء العربية وصفائها ، (٩٩) وحلّ كثير من اشكالاتها الصوتية والدلالية ، وبيان القيم التعبيرية للاصوات وهي منتظمة داخل البنيات او التراكيب . وقد اتجهوا في دراساتهم هذه وجهتين :

أولاهما : دراسة الانسجام الصوتي في اللفظة الواحدة . باعتباره يوضح المستعمل من المهمل ، والفصيح من غيره ، وبيان المعايير المعتمدة في الحكم على فصاحة المفردات او التراكيب من خلال اصواتها . وقد ذهبوا في ذلك احد مذهبين :

الاول : يرى أنّ التنافر في الالفاظ انما يكون حيث (تتقارب) الاصوات في المخارج . وكان ابن دريد (ت ٣٢١هـ) وعبد الله سنان بن الخفاجي من اصحاب هذا الرأي (١٠١) .

والثاني : يرى أن التنافر انما يكون حيث (تتقارب) الاصوات في المخارج او (تتباعد) بُعداً شديداً . ومن اصحاب هذا الرأي علي بن عيسى الرمّاني (ت.٣٨٤هـ) (١٠٢) .

وماقدّمه الاقدمون في هذا الميدان جهد عظيم استهدف الوصول الى ادراك العلاقات بين الاصوات نفسها انسجاماً او تنافراً . والوقوف عند قوانين ذلك الانسجام أو التنافر ، وغير ذلك مما يشير الى انّ عناية العرب بالدراسات الصوتية قد كانت قرينة بقضايا الاعجاز القرآني ، اذ ذهب

فُريق الى انّ القرآن معجز بالمعاني ، وذهب فريق آخر الى انّه معجز بالالفاظ ثم شرعوا في التنقيب عن اسباب الجودة والتلاؤم ، أو التأخر والتنافر ، وسرعان ماامتد البحث الى عالم الشعر والى عالم اللغة عامة ، وصار الوعاء اللغوي هو الميدان (١٠٣) .

وثانيهما : دراسة القيمة التعبيرية للاصوات ، ومدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار ، وهل أنّ هناك اختياراً مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المغاير لمايؤديه الصوت الآخر ، وهل أن مناسبة الصوت للمعنى قد وقع لهم اتفاقاً او عن قصد .

وكان الخليل (ت . ١٧٥هـ) منبع هذا الاتجاه . فقد شغلته تلك الالفاظ المعبرة عن اصوات المسموعات ورأى فيها اصواتاً محاكية للطبيعة ، وحاول اثبات نوع من الصلة الطبيعية بين جرس الحروف ودلالاتها من جهة وبين انغام الالفاظ ومعانيها الكلية من جهة اخرى ، وفي ذلك النظر تبدو الاصوات والصيغ مترابطة مع الدلالة ، وكأنّ هنالك نتيجة ضرورية للايحاء من تتابع الحروف أو بناء الكلمات . فمن حيث ارتباط الصيغ بالدلالة رأى بعضهم ان اكثر الاصول استعمالاً ، واعدلها تركيباً هو الثلاثي . وذلك «لانه حرف يبدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه» (١٠٤) ومنهم من يرى انه «ليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه فحسب ، ولو كان كذلك لكان الثنائي اكثر منهُ لانه اقلّ حروفاً ، وليس الامر كذلك .» (١٠٥)

امّا من حيث ارتباط الاصوات بالدلالة فقد لاح لنا اول الامر من خلال تفكير اللغويين القدماء في اصل اللغة ومنشئها . وكأنّهم قد تصوروا أنّ هنالك ارتباطا وثيقاً بين الاصوات والمعاني . فقد ذكر الخليل قوله : «كأنّهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا : صر . وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر» .

وقد زاد سيبويهُ (ت . ١٨٠هـ) هذا الامر وضوحاً حين قرر قوله : «ومن التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النّزوان ،

والنّقران ؛ وإنّما هذه الاشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع . ومثله العسَلان والرتكان ... ومثل هذا الغليان ، لانه زعزعة وتحرّك، ومثله الغثيان، لانّه تجيش نفسه وتثور ، ومثله الخطران واللمعان، لانّ هذا اضطراب وتحرّك، ومثل ذلك اللهبان والصخَدان والوهجان. لانّه تحرّك الحر وثؤوره فانّما هو بمنزلة الغليان»(١٠٦)وقد تناول ابن جنّي علاقة الصوت بالدلالة من زوايا متعددة لسنا بصدد الحديث عن تفاصيلها، غير انّ بيان موجزها هنا يساعدنا في الكشف عن تفكير هذا اللغوي العربي الفذّ. وبيان خطورة الأراء التي طرحها منذ اكثر من عشرة قرون، بما يؤكد أن هذه القضية التي تشغل بال الباحثين اليوم، وتتوجه اليها انظارهم بهمة ، قد استحوذت على اهتمام لغويينا القدماء، وعالجوها بنظر ثاقب، وفكر فاحص. وما زالت آراؤها التي طرحوها موضع درس وتمحيص. ويمكن ايجاز ما طرحه ابن جني في هذا المجال بالآتي:

١ — في باب الاشتقاق الاكبر(١٠٧) يتطرق ابن جني الى المعاني الجامعة لتقليبات الاصول الثلاثية، وذلك «بأن تأخذ اصلاً من الاصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة. وما يتصرف منها عليه»، فتقليبات الاصل (ك ل م) و (ج ب ر) للقوة والشدة اينما وقعت.وتقليبات (ق و ل) للخفوف والحركة. وتقليبات (س م ل) للاصحاب والملاينة وهكذا. مما يذكرنا بفعل ابن دريد في جمهرته(١٠٨).

ولكي لايتهم ابن جني بالتكلف والتعسف ممن يريد تطبيق نظريته هذه اكّد لنا أن ذلك وإن كان كثيراً في اللغة فهو غير مطرد في كل اصل ثلاثي « واعلم انّا لاندعي ان هذا مستمر في جميع اللغة»

٢ — وفي باب (امساس الالفاظ اشباه المعاني)(١٠٩. يرى ابن جني أن مزج صوت (الفاء) مع اصوات ال (د — ت — ط — ر — ل — ن) داخل بنية معينة يؤدي الى دلالة معينة خاصة، يقول :«ان ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون اذا مازجتهن الفاء — مع التقديم والتأخير — فاكثر احوالها ومجموع معانيها انّها للوهن والضعف ونحوهما» ومن امثلة ذلك نذكر:

الدالف : للشيخ الضعيف : التالف ، للشيء التالف. والدنف : المريض. النطف : الضعيف ، والطليف والظليف : للشيء المجان ، غير الثمين. والفرد : وكل فرد منفرد فهو ضعيف ومعرض للهلاك. الفارط : المتقدم وكل متقدم منفرد معرض للهلاك ، والطفل : تقال للصبي لضعفه والنفل : تقال للريح المكروهة المنبوذة. وهكذا .

٣ – وفي باب (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني)(١١٠) ، يتحدث عن التقارب الذي يربط بين الالفاظ حين تتقارب دلالات معانيها ، وهذا باب على رأي ابن جني «اكثر كلام العرب عليه وان كان غفلاً مسهواً عنه» وامثلته في الخصائص كثيرة ، نذكر منها أن بين الفعل (أزّ) والفعل (هزّ) تقارب صوتي نابع من تقاربهما المعنوي. فالهمزة والهاء من مخرج واحد ، ولما كانت الهمزة أبعد مخرجاً من الهاء ، فانّ العرب قد خصوا المعنى القوي للفظ القوي . ولذلك يقول تعالى : «ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازّاً» ، والازّ : القلق والازعاج وهو اقوى في النفس من الهزّ .
والعسف والاسف معناهما متصاقبان لانّ صوتيهما متصاقبان ، فالعسف السير على غير هدى ، والاسف اغلظ من ذلك لارتباطه بالنفس ، ولهذا خصّوه بالهمزة لكونها اقوى من العين مخرجاً . وكذلك الامر في نحو : حبس وحمس ، وعلز وعلص ، علب وعلم .

٤ – وعن العلاقة بين المباني والمعاني وكيف يوحي صوت اللفظ بمعناه الذي يتسق معه يسوق ابن جني كثيراً من الآراء(١١١) ، محاولاً أن يربط من خلالها اجراس الحروف بالدلالة. ومن هذه الآراء نذكر الآتي

آ – ان المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو : الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة والقرقرة. وان صيغة الفعل المكرر العين نحو : نشّر ، وقطّع ، وغلّق لها علاقة بمعناه . ولتفسير هذه العلاقة بين مبنى الفعل ومعناه يرى انه لما كانت الالفاظ دليلة المعاني فقد جعلوا اقوى اجزاء اللفظ مقابلاً لتقوية المعنى ، ومن ثمة خصوا عين الفعل بالتقوية عن طريق التكرار « لانها واسطة لهما ومكنونة بهما

فصارا كأنّهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها ».

ب — ان العرب كثيراً ما يجعلون اصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. فالخضم لأكل الرطب (كالبطيخ والقثاء)، والقضم للصلب اليابس .وتعليل ذلك على راي ابن جني «ان العرب اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث » .

ومثل ذلك: النضح للماء ونحوه والنضخ لما هو اغلظ واثقل . لانهم جعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها، لما هو اقوى منه.

ومع التسليم بأن ارتباط الاصوات بالدلالة لا يعني انّ الاصوات جميعاً تتساوى في هذه الدلالة، وانما تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية. إذ انّ العبرة كما يقول العقاد: «بموقع الاصوات من الكلمة لا بمجرد دخولها في تركيبها»(١١٢)، ومع التسليم ايضاً بما يشوب آراء ابن جنّي والخاصة بالاشتقاق الاكبر على وجه التحديد هذه الاراء التي فرضت نوعاً من الارهاب على الدلالات المتباينة كي تستكين الى مصيرة عامة يشوبها الغموض وعدم التحديد فدلالات مثل (الشدة والقسوة) أو (الاصحاب والملاينة)، وغيرها تكاد تنبهم حدودها، ولا تقف عند شواطىء دالات معينة، فما اكثر المواد التي تنخرط تحت (الشدة) و (الاصحاب)، ولعلنا لا نبعد هنا عما قاله «سيه» عن هذه الابحاث : «انها من بين كافة ابحاث علم اللسان ادقها، واقلها يقيناً..»( ) كما انّ ربط الاصول الستة بمعنى مركزي واحد، وبالصورة التي تحدّث عنها ابن جنّي مضيعة لفروق المعاني، وازهاق التفرق الدلالي .

وايّاً كانت الاعتراضات على ابن جني وغيره من الاقدمين بصدد هذه الدراسات ومع تأكيد صعوبتها وخطورة البحث فيها، فانّا نجد ان ابن جنّي خاصة قد استطاع بما سلكه من منهج تحليلي تطبيقي انفق فيه جهده وصولاً لتقرير تأملاته، وتثبيت آرائه على وفق تعليل قويم، وبراهين سليمة لا تلتزم الجدل

المنطقي أو الافتراضات الميتافيزيقية، ولكنها تركن الى حس لغوي سواءما تعلق منه بجرس الحروف مستقلاً، او بمضارعة الحروف بعضها بعضاً، او لحوم الصيغ المتقاربة حول محور دلالي جاذب. اقول لقد استطاع ابن جني من خلال هذا كله ان يقدّم للدرس اللغوي اراء وافكاراً طموحه مازال علم الدلالة يجري تحت ريحها، ومازال به امل كبير ليقدم لفقه اللغة فرصة رائعة لفك اسرار اللغة وتراكيبها(؟). وتأكيد نظرية القيمة التعبيرية للاصوات في البنيات المعينة .

واخيراً . فاذا اردنا بيان مدى نجاح الاقدمين في دراسة الحروف والاصوات من حيث دلالاتها ، وعدد احياز مخارجها ومواضعها في الجهاز الصوتي ، وملاحظة ما يصيب الاصوات من الصفات العارضة وهي منتظمة داخل البنيات وبيان علل التبدلات والتحولات الصوتية، وما توسلوا به من المباديء والظواهر الصوتية كالاعلال والابدال والتخفيف والاستثقال والحذف والوقف والادغام والقلب وغير ذلك من التبدلات الصوتية اقول اذا اردنا ذلك، واردنا الكشف عن طبيعة البحث اللغوي عند الاقدمين في هذا الميدان فنحن مدعوون قراءة تراث هؤلاء، قراءة فاحصة متأنية، مما يساعد في ربط الجوانب المضيئة من ذلك التراث بالحاضر وصولاً الى عناصر حقيقية للتطور اللغوي عموماً.

الهوامش

(١) د. مهدي المخزومي، في النحو العربي : قواعد وتطبيق، القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣-١٤.

(٢) د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، القاهرة ١٩٧٣ – ٥٩ – ٦٩ .

(٣) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، القاهرة ١٩٨١ ٥ .

(٤) جورج مونين، تاريخ علم اللغة. تر. د. بدر الدين القاسم، دمشق ١٩٧٢ ١٠٦ – ١٠٧.

(٥) سيبويه، الكتاب ت. عبد السلام هارون ١٢/١٠. ومن الجدير بالذكر أن لبعض الاندلسيين تقسيماً رباعياً يتضمن : الاسم والفعل والحرف والخالفة. انظر : شرح اللمحة لابن هشام الجزء الأول .

(٦) اذا وجد من الأسماء مايدل على الزمان كـ (امس) و (عند) فبذاته لا ببنيته. لان مثل هذه الاسماء لا تتغير للزمان .

(٧) سيبويه، الكتاب، ١٢/١.

(٨) نفسه: ليس في كتاب سيبويه باب اسمه باب حروف الجر ٣١٨/١، وانظر: ١٤٣/٢، ٤٩٦ .

(٩) انظر: الايضاح. وهو شرح ابن الحاجب على المفصل للزمخشري. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٥٥. وجه الورقة الثالثة. وشرح التسهيل لابن ام قاسم المرادي. مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٣) ظهر الورقة الثانية.

(١٠) الزجاجي، الايضاح في علل النحو، ت. مازن المبارك. مطبعة المدني ١٩٥٩ ص ٥٤.

(١١) شرح الكافية: الرضي الاسترابادي. طبعة تركيا ١٣١٠هـ. ٩/١ – ١٠ .

(١٢) نفسه ٩/١ – ١٠. وانظر: د. مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الاصوليين بغداد ١٩٨٠ ص ٢٠٦ .

(١٣) ابن الحاجب، الايضاح. الورقة الثانية .

(١٤) د. مصطفى جمال الدين. ٢٠٣.

(١٥) شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية. لابن هشام. ت. د. هادي نهر بغداد ١٩٧٨. وهمع الهوامع، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ ٤/١.

(١٦) د. مصطفى جمال الدين. ٢٠٤ – ٢٠٥

(١٧) انظر: د. تمام حسان، اعادة رمز اللغة العربية السنياً. من بحوث الندوة العالمية الثانية للسانيات تونس ١٩٧٨. و د. فؤاد حنا ترزي، في اصول اللغة والنحو بيروت ١٩٦٩ ص ١٤٨. وساطع الحصري، اراء واحاديث في اللغة والادب. بيروت ١٩٥٨ ص ١٠١.

(١٨) انظر: د. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني، دمشق ١٩٨٠ ص ١٤ .

(١٩) الزمخشري، المفصل في علم العربية، مطبعة التقدم، مصر ١٩٣٧ ص ٢٨٣.

(٢٠) د. عثمان امين، فلسفة اللغة العربية، مصر ١٩٦٥، ص ١٤٤.

(٢١) دك الباب، ٢٠ — ٢١ .

(٢٢) انظر. المصدر السابق ٢٢ .

(٢٣) د. ريمون طحان، الالسنية العربية (٢) دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢ ص ١٩ ومابعدها .

(٢٤) د. محمود حجازي، علم اللغة العربية. الكويت ١٩٧٣. ص ٧٠. وانظر: طاش كبري زاده: مفتاح السعادة في موضوعات العلوم. ت. كامل كامل كبري. وزميله القاهرة (١٥٦٠هـ) ص ٩٩.

(٢٥) ابن هشام، شرح اللمحة البدرية. ٢٢٦.

(٢٦) من المعلوم أن الصوت غير الضجيج، فالصوت ما اعتمد على ذبذبات منتظمة، والضجيج تيار نفاذ ليس فيه تحكم بقوة الايعاز الحركي او قلته إلى الجهاز النطقي .

(٢٧) ابن ام قاسم المرادي، شرح التسهيل ٢/١ .

(٢٨) انظر: سيبويه، ٣٣١/٤. و د. رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة. القاهرة ١٩٧٧. ص ٣٥٥ .

(٢٩) د. هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب. مجلة المجمع العربي بمصر العدد (٢٩). القاهرة، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨ ص ٦٨.

(٣٠) جان كانتينو، دروس في علم اصوات العربية، تعريب صالح القرماوي، تونس ١٩٦٦ ص ١٤٧ .

(٣١) ابن جني: الخصائص. ت. عبد الحليم النجار ١٢٤/٣.

(٣٢) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب ٦٨.

(٣٣) ابن جني، المنصف في شرح التصريف. ت. ابراهيم مصطفى وزميله، القاهرة ١٩٥٤، ٣٤٣/١. ومن المقرر عند النحاة ان حرف العلة إن كان ساكناً بعد حركة تناسبه فهو حرف علة، ومد، ولين، وان كان ساكناً بعد حركة لا تناسبه فهو حرف علة ولين معاً، وان كان متحركاً فهو حرف علة فقط .

(٣٤) ابن جني، سر صناعة الاعراب. ت. مصطفى السقا وجماعة ١٩٥٤. ٢٠/١.

(٣٥) المنصف: ٢١٣/١ .

(٣٦) د. رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ٣٥٥.

(٣٧) د. محمد حسن ابراهيم، مفهوم علم اللسان عند الفارابي ومقارنته بمفهومه عند ابن خلدون. محاضرة القيت في الدورة الخامسة للسانيات. دمشق ١٩٨٠ .

(٣٨) ابن جني، سر صناعة الاعراب، ١/٧ — ٨، ٥٠ — ٥٤ .

(٣٩) طاش كبري زاده، ٩٩ .

(٤٠) انظر : د. صبحي الصالحي، اصول الالسنية عند النحاة العرب، مجلة الفكر. العدد (٨ — ٩) بيروت ١٩٧٩ ص ٦٣.

(٤١) د. محمد حسن ابراهيم، مفهوم علم اللسان عند الفارابي ٢١ .

(٤٢) انظر : الفارابي، احصاء العلوم. ت. عثمان امين ص ٤٧ — ٥٠ .

(٤٣) الجاحظ، البيان والتبيين. ت. عبد السلام هارون ١٩١٣. ٧٩/١ .

(٤٤) المقطع: صوت خال من المعنى يتألف من حرفين: صامت وصائت .

(٤٥) د. تمام حسان، مصطلحات سيبويه في اصوات العربية. مجلة الازهر مارس ١٩٦١ ص١٠٧٨.

(٤٦) جورج مونين، تاريخ علم اللغة، ٨٦ .

(٤٧) د. تمام حسان، مصلحات سيبويه ١٠٧٧ .

(٤٨) د. خليل يحيى نامي، علم الصوت عند الامم والعرب. دار المعارف، مصر ١٩٧٤ ص٨.

(٤٩) الخليل بن احمد الفراهيدي، العين. ت. د. عبدالله درويش، بغداد ١٩٦٧ ١/٦٤—٦٥ .

(٥٠) سيبويه، ٤/٤٣١ — ٤٣٢ .

(٥١) المصدر السابق، ٤/٤٣٣ — ٤٣٤ .

(٥٢) د. كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) القاهرة ١٩٧٠، ١١٣.

(٥٣) انظر مقدمة الجمهرة لابن دريد، والزمخشري في اساس البلاغة ٤٧٩/١ .

(٥٤) الخليل، العين، ١/٦٤ — ٦٥. كمال بشر، (الاصوات) ٩٨ .

(٥٥) د. كمال بشر، الاصوات. ٩٨.

(٥٦) مقدمة العين، ٣٣.

(٥٧) ابن جني، سر صناعة الاعراب، ٥٢ — ٥٣. وانظر الجدول رقم (١) .

(٥٨) د. كمال بشر. الاصوات، ١١٩. و. د. احمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية المعاصرة في التراث. الباب الثالث (المستوى الصوتي) ليبيا /تونس — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨ ٢٣٣/١ وما بعدها .

(٥٩) انظر : د. كمال بشر (الاصوات) ١١٩ — ١٢٠.

(٦٠) انظر : د. تمام حسان. مصطلحات سيبويه، ١٠٧٩ — ١٠٨٠. د. كمال بشر (الاصوات) ١٢٠. د. احمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ط١ الكويت ١٩٧٦ ٢٦٧ وما بعدها .

(٦١) اتضح لبعض الباحثين ان لابن سينا معرفة بالحنجرة ووظيفتها في عملية النطق . ينظر : د. كمال بشر . (الاصوات) ١٤٦ .

م/١٧/١٠م.س

(٦٢) من المحدثين من يعد الألف من ذوات المخرج ، ومخرجها غاري طبقي لين مع وسط اللسان عن طريق اراحة اللسان في قاع الفم ، مع ارتفاع طفيف جداً لوسطه في اتجاه منطقتي الغار والطبق ، ولو سلمنا بذلك ، اقتربنا من رأي سيبويه وابن جني . مع فارق في موضع المخرج . انظر : د . أحمد مختار ٢٧١ ، ٢٩٧ .

(٦٣) انظر : د. كمال بشر ، الاصوات ، ١٢٢ .

(٦٤) د. محمود السعران ، علم اللغة ، مصر ١٩٦٢ ، ص ١٩٨ .

(٦٥) كانتينو ، دروس في اصوات العربية ، ص ٣٠ .

(٦٦) المصدر السابق ، ٧٣. وانظر : د. عبدالرحمن ايوب ، محاضرات في اللغة ، بغداد ١٩٦٧ ص ٩٨ .

(٦٧) انظر : كانتينو . ٨٥ ، السعران ، ١٧٥ .

(٦٨) تسمى الصوامت ايضاً بالاصوات الساكنة ، ويطلق على الصوائت (الحركات) او (المصوتات) انظر : ابن جني ، سر صناعة الاعراب ١/١٢٤ — ١٢٥ .

(٦٩) تتنوع اللغات في اختيار انظمة الصوائت وصفاتها، واقل عدد لها يأخذ شكلا ثلاثياً هو $[\,^{i}{}_{a}{}^{u}\,]$ وفي العربية الفصحى يأخذشكلا خماسياً هو من اكثر الانظمة شيوعاً وهو $[\,e^{i}{}_{a}o^{u}\,]$

(٧٠) انظر : برجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ص ١٠. واعلم ان في اللغة التركية نوعين من الجيم احدهما ينطق كما تنطق الجيم في القاهرة وهذه تكتب عند الاتراك بالكاف ، والأخرى تكتب بالرسم التقليدي ((هذا قبل تحويل الحرف العربي في التركية إلى الحرف اللاتيني عام ١٩٢٧. انظر : كمال بشر ١٧٤ .

(٧١) المصدر السابق، ١٠ .

(٧٢) انظر : د. كمال بشر (الاصوات) ٩٥ .

(٧٣) المصدر السابق، ٩٤ .

(٧٤) حامد عبد القادر ، دفاع عن الابجدية والحركات العربية، مجلة مجمع القاهرة ١٩٧٠ ١٢/٩٨ .

(٧٥) أوديت بني ، بحث في فونولوجيا اللغة العربية، مجلة الفكر العربي، طرابلس ١٩٧٩ ، ٨/١٧١ .

(٧٦) الخليل، العين، ١/٧٤ — ٧٥ .

(٧٧) ابن جني، سر صناعة الاعراب، ١/٧ — ٨ .

(٧٨) المصدر السابق، ١/٨ .

(٧٩) المصدر السابق ١/٨ .

(٨٠) الفارسي، ابو علي، البغداديات، رسالة جامعية مقدمة للجامعة المستنصرية صيف ١٩٨٠. صلاح الدين عبدالله، اشراف د. عدنان محمد سلمان ١/٢٣٤ .

(٨١) انظر : ابن جني، سر صناعة الاعراب، ٨/١ .

(٨٢) ريمون طحان، ٣١. ومن الجدير بالذكر أن الحركات نوعان، نوع يتخلل الكلمة جزءاً من تركيبها الصوتي، ونوع يأتي في اواخر الكلم لظروف نحوية خاصة وهذه ابعاض حروف المد .

(٨٣) سيبويه، ٤٣٤/٤.

(٨٤) الاوتار الصوتية، زوجان من الطيات الجلدية في طرف قصبة الرئة .

(٨٥) سيبويه ٤٣٤/٤ .

(٨٦) د. تمام حسان ، مصطلحات سيبويه ١٠٨١ .

(٨٧) من هؤلاء . كانتينو . ص ١٢٣ ، د. تمام حسان ، ١٠٨١ .

(٨٨) د. كمال بشر (الاصوات) ١٤٢ ، السعران ، ١٧١ ، د. ابراهيم انيس ، الاصوات اللغوية القاهرة ١٩٧١ ص ٩١ .

(٨٩) سيبويه ، ٤٣٦/٤ .

(٩٠) المصدر السابق ٤٣٦/٤ — ٤٣٧ .

(٩١) ابن جني ، سر الصناعة ، ٦٩/١ .

(٩٢) د. كمال بشر ، الاصوات ١٤٧٠ . السعران ، ١٨٣ ، تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ١٩٠ — ١٠٤ .

(٩٣) د. حسام سعيد النعيمي ، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، بغداد ١٩٨٠ ص ٣١٦-- ٣١٧ .

(٩٤) سيبويه ، ٤٣٦/٤ .

(٩٥) د. كمال بشر ، الاصوات ، ١٧٠ .

(٩٦) حسام النعيمي ، ٣١٧

(٩٧) السعران ، ١٩٧ .

(٩٨) نفسه : ٢٨٥)

(٩٩) عبدالكريم مجاهد : ، علم الدلالة بين العرب والغرب، مجلة الاقلام ، بغداد ١٩٨١ ٦٠/٥ .

(١٠٠) ابن دريد ، الجمهرة ، ص ٩٩ ، وابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحه . ت . على فوده ، القاهرة ١٩٣٢ ص : ٩٤ — ٩٤ .

ت . محمد خلف الله وجماعة . مصر ١٩٥٤

(١٠١) الرماني ، علي بن عيسى ، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، للرماني والخطابي والجرجاني ت . محمد خلف الله وجماعة . مصر ١٩٥٥ ص ١٦٩ .

(١٠٢) انظر : د. مصطفى مندور ، اللغة بين العقل والمغامرة ، الاسكندرية ١٩٧٤ ص ٥٥

(١٠٣) ابن جني ، الخصائص ، ٥٥/٢ .

(١٠٤) نفسه : ١٥٢/٢ .

(١٠٥) سيبويه ، ١٤/٤ .

(١٠٦) ابن جني ، الخصائص ١٣٤/٢ .

(١٠٧) ابن دريد ، الجمهرة ، ٢٠٧/١ .

(١٠٨) ابن جني ، الخصائص ١٥٢/٢ .

(١٠٩) نفسه : ١٤٥/٢ .

(١١٠) نفسه : ١٥٢/٢ — ١٦٨ .

(١١١) عباس محمود العقاد ، اشتات مجتمعات في اللغة والاداب ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٤٨ .

(١١٢) د. مصطفى مندور ، ٩٢ .